

سنگریں

کونانی

تجليد كتب
صالح الدقر

[REDACTED]

سينکيفتش ، هنريک *

کوفادس *

[REDACTED]

[REDACTED]

AG 8

AG 17

AG 18

AG 21

AG 21

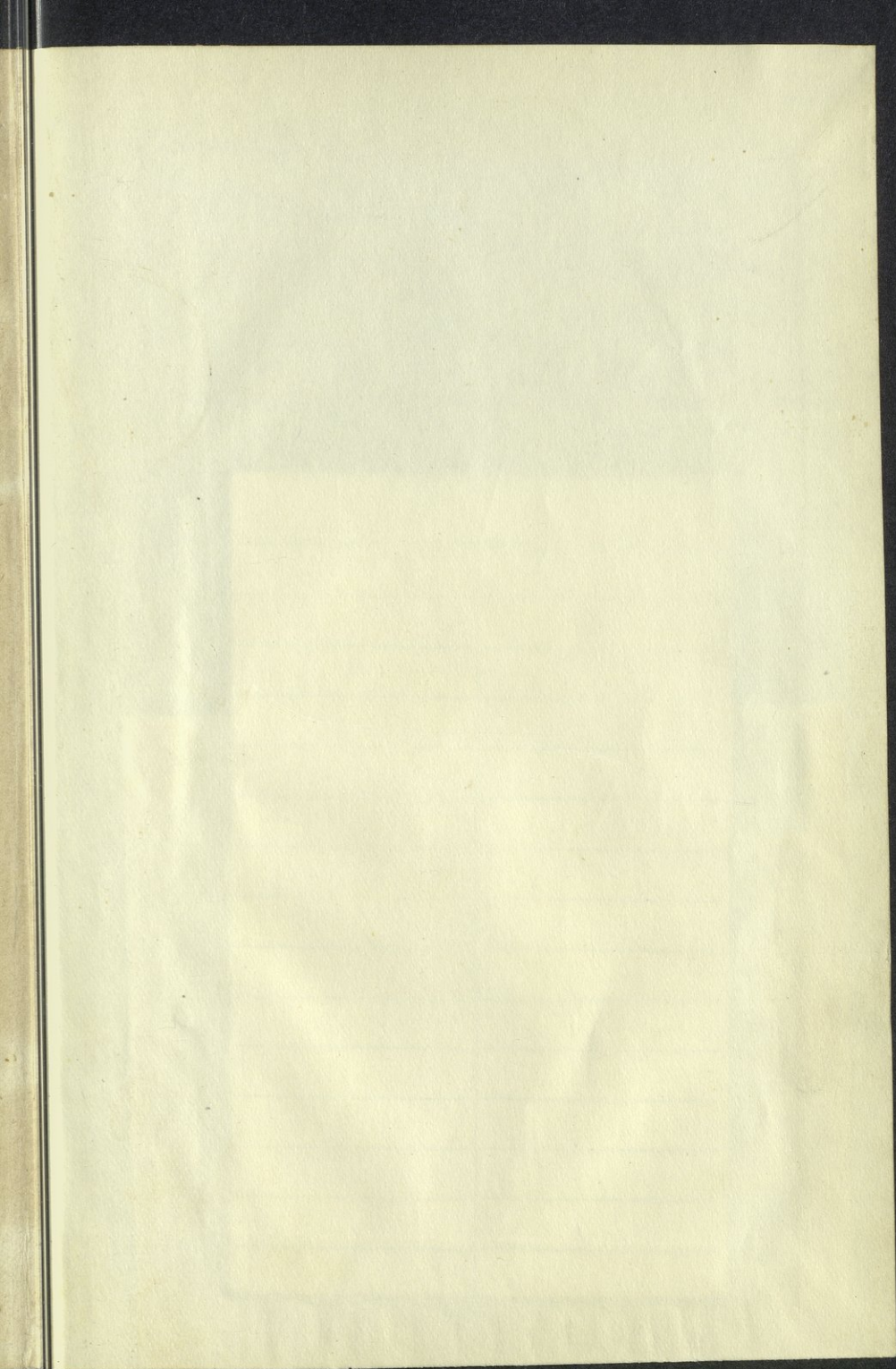
AG 21

NR 23 59

FEB 2 1960

FEB 16 1960

21 Nov 59



891.853
Si579A



كوفادرس

وهي قصة الفيلم المرتكزة على الرواية الخالدة

للكاتب : هنري سنكيتشكس

اقتباس : ابراهيم مطر



بيروت ص. ب. ٢٣٥

١٩٥٤

طُبِعَ فِي الْمَطْبَعَةِ الْأَمِيرَكَانِيَّةِ بِيْرُوتَ



تصدر مكتبة المشعل الحلقة الثالثة من السلسلة الرباعية
للروايات الدينية العالمية الشهيرة - تلك السلسلة المؤلفة من
ابن حور - الرداء - كوكادس - والكأس الفضي ...

قديم الكتاب

تود مكتبة المشعل ان ترسل لكم مع هذا الكتاب تحياتها
واملها ان تستحسنوا هذه الرواية التي اختارتها لكم بدلاً من عددي
الصيف من مجلة النشرة . ويتراءى لي ان لهذا الكتاب رسالة
مؤاتية لابناء هذا العصر سواء اكانوا افراداً ام جماعات ، شعوباً
ام حكومات ...

وانه يبدو ان الكثرة من الناس لا يعرفون اين هم متجهون .
فهم يعيشون على الآمال والتمنيات دون الاقتكار بالخطط والاهداف .
ولا شيء . يسلب الحياة لذتها وروعها اكثر من ضياع الهدف وعدم
تحديد الغاية ، اذ لا يرغب احد منا الدخول في سباق لا يعرف له هدفاً
ولا ينال المنتصر فيه جائزة .

وان شئنا او ايئنا فنحن شركاء في سباق الحياة وكلّ منا
يمثل دوره في لعبة الحياة الكبرى . وهؤلاء المتبارون لا بدّ لهم ان
يحدّدوا اهدافهم ويقرروا جعلاتهم . وما اكثر الذين ركّزوا هدفهم
على المال او الجاه ، غير ان الرسول بطرس في كوثادس وجد له
هدفاً مغايراً ساعة تطلع الى الزيران التي التهمت معالم المدينة الخالدة

وساعة سمع صراخ المؤمنين الذين سيموا اشد صنوف العذاب والاضطهاد . فهو بالرغم من كل الشدائد والمصاعب جعل هدفه الاوحد ان يعيش تلميذاً حقيقياً ليسوع ، ورسولاً وفيما لذلك السيد العظيم .

وحالما دوت كلمة المسيح في اذني هذا الرسول الامين وسمع كوقادس تتجاوب في الفضاء عاد الى روما ليثبت صدق تلمذته للسيد عن طريق موته واستشهاده . انه في هذا السبيل وجد فرحه واطمئنانه اذ ادرك ان هناك اموراً في الحياة هي اثنى بكثير من المال ، واعظم من القوة والسلطان .

ولا يدرك قيمة هذه الامور الروحية الا الذين تذوقوا نعمة الله واختبروا محبته . وعسى ان يجد القراء في هذا الكتاب عدا عن المتعة الادبية الطريق الصحيح للحياة ، والهدف السامي الذي من اجله يجب ان نسعى ونعيش ...

هنري غلوكلر

مدير المطبعة الاميركانية

ومكتبة المشعل بالوكالة

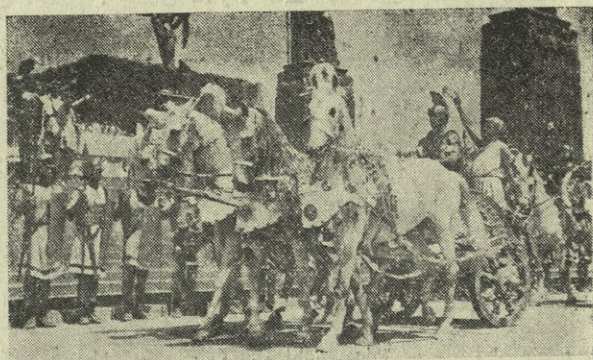
الفصل الاول



عودة القائد الروماني ماركوس من بريطانيا

لشدة ما اخذت معالم عاصمة الدنيا ترتسم امام نواظر هؤلاء الجنود الذين عادوا من ساحات الوغى في بريطانيا . فقد ابلى افراد الفيلق الرابع عشر بقيادة الجنرال ماركوس البلاء الحسن ، مجاهدين جهاد الابطال ، ومحزين نصراً تلو الآخر في ميادين القتال ...

وها هم اولئك الجنود المظفرون يقفون على ابواب روما ، وحراهم مرفوعة الى العلاء ، وسيوفهم مسلولة ، وهتافاتهم تشق عنان السماء ...



منظر للجيش الروماني المظفر وهي تسير في طريق ابيان الشهيرة

وكأنهم بتظاهرتهم هذه انما هم يسخرون من اولئك الشبان الذين
آثروا البقاء في احضان الترف ، ناشدين النعيم المقيم في ارجاء العاصمة
العظيمة .

وانعكست اشعة الشمس الذهبية على الدروع الفولاذية ، والنسور
الرومانية التي كانت رمزاً لعلم الامبراطورية الحفاق . وزادت تلك الخيوط
الذهبية المتلألئة الموكب العظيم فتنة وجلالاً وبهاء . وكنت ترى اعمدة
العبار تملأ الفضاء على اثر تحرك تلك الكتائب الجاردة وهي تسير في موكب
نصرها سالكة طريق ابيان الشهيرة . ولا غرابة فطريق ابيان هي
الطريق الملكية التي سار فيها الفاتحون في طريقهم الى روما والتي سلكها
القواد المظفرون عند اوبتهم الى عاصمة امبراطوريتهم .

وكنت ترى ايضاً عدداً غفيراً من الاسرى يسرون خلف هذا
الموكب الحافل . وكان هؤلاء المساكين قد قيدوا بسلاسل حديدية
وشدوا بحبال سميقة خلف المركبات . وكانوا يسرون مطأطي
الرؤوس ، منحني الظهور من الحُجل والاعياء . وما اكثَر ما الهبت
السياط ظهورهم فأسالت الدماء من جلودهم !

وظهر القائد الشهير ماركوس في مقدمة الجيش ، وكان يطل من
مركبته التي يقودها بنفسه على جحافل هذا الفيلق المظفر . وقد تجلت
مظاهر القوة في ملامح وجهه ، وصلابة عضلاته . وارتسمت ابتسامة
عريضة على شفثيه ابتهاجاً بهذا النصر العظيم الذي حققه لبلاده . وكنت

تراه يتلفت بين الآونة والاخرى الى الوراء ، ليرى جنوده البواسل
يسيرون بانتظام ، في طريق ابيان الشهيرة المؤدية بهم الى روما الجبارة
عاصمة امبراطوريتهم .

وركب على مقربة من القائد ماركوس ، مساعده فاييوس . فالتفت
اليه القائد وقال : هيا بنا نتسلق ذروة هذه الراية المجاورة لنحظى
برؤية روما عن كثب . فقد طالت غيبتنا عنها ، وفنحن بأشد الشوق
اليها . وشايعه فاييوس في رأيه ، وللحال اخذا يلهبان ظهور الجياد
بسياطهما . وما هي الا دقائق معدودات حتى كان القائد صجبة
معاونيه يطلان على مدينة روما المسجاة بين تلك التلال السبع
المقدسة والقائمة على تلك المرتفعات .

وهتف ماركوس : ها نحن نطل على المدينة التي حرمتنا من
مشاهدتها طيلة اعوام ثلاثة . وعلق فاييوس على هذا بقوله : حقاً اننا
كأنت مدة طويلة ... وما احلاها من ساعة اصل فيها منزلي واجتمع
بزوجتي وباولادي .. ! وهنا تفرقت الدموع من عينيه ، واهاجت
الذكريات عواطفه .. !

واستولت على القائد ومساعدته موجة من الفرح الشديد عبّرا
عنها بفترة صمت عميقة . ولم يعكر عليهما صفو هذه التجوى الروحية
سوى قدوم احد الضباط . وكان هذا من اعضاء الحرس الامبراطوري
فعرّفهما عن نفسه بقوله : انا قلاقيوس احد ضباط الحرس البريتوري ،
وقد اوفدني الامبراطور لانقل اليكما ما يلي : انني باسم نيرون - حاكم

البلاد ، ومعبود الشعب اقول ان انباء انتصاراتكم قد سبقتكم الى روما . . . وقاطعه ماركوس بقوله : ومن اجل ذلك نحن تواقون لدخول العاصمة في موكب النصر هذا .

وتناول الضابط رسالة سلمها الى ماركوس . ففضها هذا بسرعة وقرأها ثم ناولها الى مساعده ليقراها بدوره . وتمم القائد على الاثر قائلاً : ما اروع هذا الاستقبال لنا ! فبعد غياب ثلاث سنوات عن روما نفاعاً الآن بعدم السماح لنا بدخول روما . . . اوها هي اوامر الامبراطور صريحة . فهو يطلب منا ان نقيم خارج العاصمة . وان نضرب خيامنا في ضواحيها ، وان ننتظر اوامره السنية . فاذا شاءت ارادة الامبراطور في المستقبل ان يسمح لنا بدخول روما كان لنا ذلك . . .

وما كان من القائد على اثر تلقيه هذه الانباء المروعة ، الا ان تناول مقود مركبته بيده ، موجهاً بها الى ابواب المدينة بقصد ان يقابل الامبراطور بنفسه . واخذ يسير بسرعة فائقة ، آمراً الحرس البريتوري ان يفسحوا له الطريق لكي يصل على جناح البرق الى نيرون ، فيحظى بمقابلة الامبراطور ، فينتزع منه الاذن بدخول جيوشه المظفرة المرابطة خارج الاسوار ، الى قلب العاصمة .

وسرعان ما اخذت العيون تشخص الى هذا القائد ، وهو يسير بسرعة فائقة الى قصر الامبراطور . وكان لا ينظر عينة او يسرة ، ولم

يعبأ بالجمهير التي احتشدت لمشاهدته ، ولم يبال بمن داسته عجلات عربته . فهذه كانت نظرة الرومان الى الحياة . فان حياة الناس رخيصة ، ولا قيمة للأفراد لاسيما ان لم يكونوا من اقحاح الرومانيين . وكانت حوادث دوس الناس تحت عجلات المركبات امراً عادياً ومألوفاً عندهم . ومن كان يتجاسر ان يطالب القواد واصحاب السلطان بالدماء المهرقة او الارواح المزهقة ؟ !

اجل لقد سيم العبيد في ذلك العهد اشد اصناف العذاب ، وقد تذوقوا الموت الوائساً واشكالاً . فمنهم من كان يستخر في العمل المضني في السفن والمراكب^{١١} ، وآخرون كانوا يعرضون للثيران الهائجة لمصارعتها ، وكثيرون غيرهم قدموا ضحايا للأسود الجائعة في الامفيثيات ودور اللهو العامة . ولم يكن في الوسع رفع هذا الظلم والحيف عن العبيد ، اذ لم يقيم قانون عادل لينصفهم ، ولا ظهر امبراطور خير يحسن احوالهم ويخفف هذه الاحكام الجائرة عنهم .

بقي ماركوس يغذ في سيره حتى اقترب من القصر الامبراطوري وكان هذا القائد مزهواً بنشوة النصر ، اذ هو الامر على هذا الجيش المظفر الذي حقق الانتصارات الباهرة للامبراطورية . وقد جاء ليقابل نيرون ويأخذ منه اذنأ لدخول جيوشه مدينة روما . وحالما وصل ابواب القصر ، نزل من مركبته ، وسلم اعنفة الخيل الى احد الحراس ، واخذ يتخترق اروقه وقاعاته المملوءة بالتحف والنفائس ، والمزينة بالمتاع والاعمدة

المرمية والرخامية . وكانت هذه التماثيل تملأ الغرف وأردهات فهي
تقتل ابطال روما والهة روما .

وانتشر حول هذه النصب والتماثيل الحواس والخدم الذين وقفوا
كلاصنام استعداداً لخدمة الامبراطور . وقد امتلأ القصر باصناف
الناس ، الذين ألفوا حاشيته ، وندماءه وحراسه . وعج القصر ايضاً
بمجماعات من النساء الراقصات والمغنيات ، والفاتنات الساحرات . وبفرق
من العازفين والمطربين ، ورجال الدولة ، وحكام الولايات .

والناس على دين ملوكهم ، فهؤلاء جميعاً شايعوا الامبراطور في
نزواته : فاذا ما لعبت الحمة في رأس نيرون كانت بطانته تشايعه ،
وعندما كان هؤلاء يشملون بالسكر كانوا ينسون جميع المقاييس الاخلاقية
الرفيعة ، معتنين فقط بارضاء هذا الامبراطور التمل ، ومسايرته في هرجه
ومرجه . وكان نيرون عندما تلعب الحمة في رأسه يبدأ بنثر النقود امام
الحضور . وما اكثر الندماء والمهرجين ، والكهان والعرافين الذين
التفوا حول نيرون الخليع ليكيلوا له المديح ، وليبتزوا المال من
خزائنه وجيوبه . . . !

وتجاهل ماركوس وجود هذا العدد الوفير من حاشية الامبراطور
وبطانته . وقد رآهم بالستهم الملوثة والمزركشة ، ملتفين بعباءاتهم
الرومانية الفضفاضة . ولم يكن يجذبه جمال السيدات الرومانيات ، او قوام
الاغريقيات الرشيقات ، او فتنة النساء الشرقيات اللواتي ملأن الصالات

واجنحة القصر . انه لم يكن ليعبأ بكل هذا فهو يريد مقابلة الامبراطور
واخذ الاذن لجنوده بدخول روما . ولهذا ظل يسير من غرفة الى اخرى ،
وهو يتلمس اثار الدماء التي ما برحت ظاهرة في اعمدة الرخام المائلة ردهات
القصر والتي تلوثت من جراء كثرة الاغتيالات وسفك الدماء .

اجل ان اقدامه وطئت سقوف الغرف المظلمة التي كان يحشر ضمن
جدرانها القواد والاعيان ليلاقوا حتفهم فيها . ففي احداها سجن دروسس
الذي اضطر الى قضم اصابعه من فرط جوعه . وفي الاخرى زج
كلوديوس الذي ادعى الالهية فطوح في تلك الغياهب ليظل يرتعش ،
ويهنأ بنوباته المستيرية ..

وانك لترى وايم الحق صورة مصغرة لروما وحياة الترف في قصر
نيرون . فهذه كانت حالة البلاد اجمالاً في عام ٦٤ ب. م. وقد رسم
لنا قصر الامبراطور صورة واضحة عن الحياة الرومانية المترفة الخليعة .
ولا عجب ففي كل ركن من ذلك القصر الامبراطوري تجاوزت آفات
الارواح التي ازهقت ، والشخصيات التي صرعت او اغتيلت . وهؤلاء
الكثرة من النبلاء الذين تباهاوا بملابسهم الثمينة ، واختلفوا بارديتهم المزركشة
كانوا لا يضمنون بزوغ نهار آخر عليهم ، لان يد الغدر والاثم كانت
تكمن في كل ركن من اركان ذلك القصر .

واخيراً دنا ماركوس من مقصورة الامبراطور ، فالتقى بضابطين
يجرسان الباب . فعرفهما بنفسه قائلاً : انا ماركوس - قائد الفيلق

الرابع عشر ، وقد جئت لاقابل جلالة الامبراطور . واستعد احد الضباط
 لان ينقل رغبته الى نيرون . وظل ماركوس في انتظار الاذن له
 بالمتول امام صاحب الجلالة . وفي تلك الفترة اخذ يذرع جنبات الغرفة ،
 ويروح ويحيي ، وهو يفكر في مصير جنوده ، ومصير هذه الامبراطورية
 المترامية الاطراف التي كان يحكمها امثال نيرون الطاغية ، ويدير دفعة
 شؤونها عاهل فاسد خليع ...



الفصل الثاني



مقابلة ماركوس الامبراطور نيرون

دخل الضابط مقصورة الامبراطور ليستأذن للقائد ماركوس بالمشول في حضرة صاحب الجلالة . وحالما رفعت الستائر المخملية التي كانت تفصل نيرون عن رجال حاشيته بان الامبراطور وهو غارق في ملامهيه ، ومستسلم لذاته . كان نيرون عندذاك جالساً فوق الطنافس المخملية ، متكئاً بذراعيه على الوسائد الحريرية ، وعيونه شاخصة الى الراقصات اللواتي كن يتلوين في حضرته ، ويقمن برقصات مشيرة لشهواته . وتضوعت منه الروائح العطرية ، وانطلقت مع زفيره البخرة الحرة التي كانت تملاً فمه .

كان نيرون يهوى الموسيقى لذلك كنت تراه يصغي بلهفة الى ضاربات الصنوج ، والغازفين على آلات الطرب . وكلما نالت اعجابه اغنية ملأ كاسه بالخمر وشربه حتى الثمالة . ووقفت على مقربة منه جارية كانت تمشط له شعره المسترسل ، واخرى تدهن رجليه بالطيب . واقربت اخريات منه حاملات اطباق الفاكهة اللذيذة ، والوان الاطعمة الشهية ، وزجاجات الخمر المعتقة .



صورة نieron الطاغية مع مستشاره بروتينوس

لم يكن نieron قد تجاوز الثلاثين من عمره ، اذ كان في عنفوان شبابه وفي زمن فورة عواطفه ، وانطلاق شهواته . وكان سميناً ومتنفخاً ، كثير التقلب وتزوعاً الى الكهرياء . وما اسرع ما التفت حوله لقيف من الندماء والمتملقين ، الذين شايعوه في حركاته وسكناته ، وكيفوا امزجتهم لتتلائم مع مزاجه . فكانوا اذا شاهدوه منفعلاً صمتوا ، واذا لمسوا منه ميلاً الى الطرب واكبوه في طربه . وكثيراً ما أجهروا على استحسان تلك الانعام النابية وغير الموسيقى التي كان يتغنى الامبراطور الخليع بها ، ويرجعها بين الآونة والاخرى ...

وكان بروتينوس خال القائد ماركوس من المقربين الى نieron وقد

اتخذ الامبراطور مستشاراً له . وكان مفروضاً على رئيس الحرس
البريتوري ان يلازم شخص الامبراطور ليتولى بنفسه المحافظة على حياة
اهل الدولة . ولم يكن يجلس - رئيس الحرس - من الاشخاص
الذين تهتمهم الموسيقى ، او تستهويهم الالخان ، لكنه اضطر
كباقى المقربين ان يسير الامبراطور فيحني رأسه استحياساً لدى
سماعه الامبراطور يعزف على قيثارته انغاماً ناشزة ، او يخرج اصواتاً
متنافرة .

واقرب الحاجب من شخص الامبراطور ليستأذنه بالسماح للقائد
ماركوس بالمشول امامه . وسأل نيرون مستشاره : ومن يكون
ماركوس هذا ؟ فافهمه بروتينوس انه ابن اخته ، وانه قائد الفيلق
الرابع عشر الذي عاد منتصراً من ميادين القتال في بريطانيا . ولما سمع
بيجليوس ما دار من حديث بين الامبراطور وبين بروتينوس قال :
يظهر ان هؤلاء القواد لا يمثلون الى الاوامر التي اصدرها صاحب
الجلالة . فقد كانت ارادة سيد البلاد ان تبقى تلك الجيوش مرابطة
خارج اسوار روما الى ان يؤذن لها بالدخول . وتساقطت هذه
الكلمات في اذان نيرون فأفاق من هجمته ، وصحا من سكرته
واذا به يعترض قائلاً : وكيف تجاسر هذا القائد ان يخالف
اوامري ؟ !

فاجاب بروتينوس قائلاً : لست اشك - يا صاحب الجلالة -

بإخلاص ماركوس لكم . ولا أخاله دخل روما بجنوده ، إنما جاءكم
 بشخصه ليقدم الولاء الى جلاتكم . فانتم سيد البلاد الاوحد ومعبود
 الشعب بأسره . وارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي نيرون ندى
 سماعه كلمات الاطراء هذه . ومن المعروف ان نيرون كان سريع
 الغضب كثير التقلب ، هوائي المزاج . وكثيراً ما شابهت عواطفه
 يد الرقاص التي كانت تميل باستمرار تارة الى اليمين وطوراً
 الى الشمال .

ومثل ماركوس امام الامبراطور وحيّاه قائلاً : يعيش الامبراطور
 نيرون - سيد البلاد ومعبود الشعب ... ورد نيرون التحية عليه بهزات
 من رأسه ثم اردف قائلاً : ان خالك بروتينيوس كان يحدثني عن
 شجاعتك وولائك . وانه ليسرني ان تكون مشار اعجاب هذا الشعب ،
 والقائد الامر لهؤلاء الجنود الاشاوس . وانحنى ماركوس احتراماً للعاهل العظيم
 ثم قال : ان حياتي وما لدي هو وقف لبلادي ، ورهينة لامبراطوري ،
 بيد ان جنود الفيلق الذي كان لي الشرف بتزعمه قد تعيوا مدة طويلة
 عن اوطانهم وهم بلا شك يتوقون للاجتماع بعائلاتهم . وان منعهم من
 دخول العاصمة ليضعف من معنوياتهم ، ويؤثر كثيراً على نفسياتهم ، فذلك
 جئت استأذن لهم بدخول روما ...

وللحال اخذ نيرون يعاتب رئيس الحرس قائلاً له : كان الاجدر بك
 ان تخبر القائد السبب الذي من اجله أخرجنا دخول هذا الفيلق الى

روما ... ثم التفت الى ماركوس وقال : كانت خطتنا التريث قليلاً
ريثاً تعود فيا لقنا المظفرة من ميادين القتال الاخرى ، عندئذ تتلاقى جيوشنا
العائدة من آسيا وافريقيا معاً . ويدخل الجميع عاصمة الدنيا في موكب
مظفر شامل ...

وها هو الشعب يهوى هذه الاحتفالات ، وانه لطيب له ان يرى
قواده الظافرين ، وابطاله الميامين ، وجيوشه المحاربين يدخلون روما تحت
اقواس النصر ، وفي مهرجان شعبي عظيم . ونال هذا الجواب من
ماركوس استحساناً كبيراً . فانحنى على الاثر للامبراطور وخرج من
عنده وهو يطلب منه الصفح لهذا الازعاج الذي سببه له ... وطلب
بروتينيوس من الامبراطور ان يسمح له بالاجتماع مع ماركوس الذي
طالت مدة غيابه عنه . فظهر الامبراطور موافقته بهز رأسه . ثم عاد
الى الاستمتاع بتلك اللذات والاطايب التي ملأت ابها . قصره .

اما بروتينيوس فامسك بذراع ابن اخته ، وبدأ يجاذبه اطراف
الحديث . ثم دعاه لكي يقضي بعض الوقت في منزله قبل ان يتوجه الى
صقلية - مسقط رأسه . فاجابه ماركوس : انه سوف يقضي قرابة
الشهر في روما . فطلب اليه خاله ان يتزع الى الراحة ، وان يتمتع
بالملاهي التي حرم منها في ميادين القتال . وقال له لقد جلبت لك جارية
جميلة من اسبانيا ، بشرتها بلون الحليب ، وشعرها بلون النحاس . هذه
اضعها تحت تصرفك لتكون متعة لك في فترة راحتك واستجمامك .

ثم اhib بك ان تبليت في بيت بلاوتس الريفي ، فهذا خير لك من المبيت في المضارب خارج اسوار المدينة .

وسأل ماركوس خاله وهما يتركان مقصورة زيرون ان كان صحيحاً ما اشيع عن قتل الامبراطور لأمه وزوجته . فاجاب بروتيانيوس : هذه لغة السياسة التي لا تفهمها ايها القائد الباسل . والافضل لك ان تقول ان اغريبا واكتافيا قد ازيلتا من الوجود في سبيل مصلحة زيرون . انه تزوج حديثاً من پوبايا ، وهذه المرأة تشبهه في مسالكه وتصرفاته ، وفي زواجه منها وجد شئ طيبة ...

وعلق ماركوس على حديث خاله بقوله : انا لا يهمني شيء من امور السياسة ما دام الجيش قوياً ، والاموال تتدفق عليه ، والاجور تدفع الى جنوده المحاربين . فالامبراطورية تظل صامدة ما دامت جيوشها قوية . وضحك بروتيانيوس من تصريحاته هذه وعاق عليها بقوله : هذه افكار الشباب الصادرة عن حسن النية ، ومضاهة الغزيرة . ولكنها بعيدة عن النضج والاختبار . فالقوة يا ماركوس تتجلى بالادارة الحسنة ... وبعدالة الحكام ... وبالاخلاص للبلاد ... وبالسهر على مصالح الشعب ...

وترك ماركوس قصر الامبراطور ووجهته مقر قيادته . ومن هناك سار برفقة فايوس الى بيت بلوتيوس الريفي . وكان بلوتيوس احد القواد المتقاعدين الذين اعتزلوا الخدمة العسكرية ، وآثروا صرف البقية

من عمرهم في تلك القلعة الجميلة التي بناها لسكناء في تلك البقعة الريفية المنعزلة . وحالما اقترب القائدان من الدار استقبلهما الخدم بجفاوة واجلال . وزعقت البيغاء التي كانت على الباب بكلمة عبيد . وكأنها تعودت ان تكرر هذه الكلمة كلما دنا زائر من ابواب هذه الدار لتدعو العبيد ليستعدوا لاستقبال الزوار الوافدين .

وتطلع القائدان الى الازهار الجميلة التي ملأت صحن الدار . فشاهدوا الاصص المزروعة بالزنابق والورود منضدة هنا وهناك . وانعكست عليها اشعة الشمس ، وزادتها الطبيعة فتنة فوق فتنة . وتناثرت المياه من افواه النوافر ، وانتصبت التماثيل البرونزية على المماشي ، ورصعت ارض الغرف بالفسيفساء الجميلة ، وزينت جدرانها بالنقوش البديعة ، ورسوم الطيور والاسماك . وحيثما اجال المرء بصره رأى مشاهد ساحرة خلابة . وكأن هذا المكان غدا واحة يجد فيها كل متعب راحته ووصفاءه وكل مسافر ملجأه ومستقره .

وظهر على الباب بلوتيس وزوجته ، فرحبا بالزائرين الكريمين ، ودعياهما للتزول على الرحب والسعة في بيتهما . واثني بلوتيس على شجاعة زميليه في ضروب القيادة وميادين القتال . فاجابه ماركوس :
اننا ايها القائد قد سرنا في اثر خطواتك وسلكنا الطريق التي عبدتها لنا ، عندما كنت تحارب في بلاد الغال وبريطانيا ، اثناء شبابك وزمن خدمتك في الجندية .

وتبادل القواد اعذب الاحاديث . ثم جاءت صاحبة الدار تقودهما الى الغرفة المعدة لاستراحتهما . وقالت لزوجها : ربما كان ضيفانا في حاجة الى الراحة . فوفر اسبابها لهما ، وقدهما الى غرفة الحمام عساهما في حاجة الى الاستحمام . فسار بهما بلوتيسوس الى الحمام حيث اخذا حماماً ساخناً على الطريقة الرومانية . وبعد ذاك اركنا الى غرفتهما حيث تمتع بلون من الراحة بعد عناء السفر ، ومشقات الطريق ...



الفصل الثالث



ماركوس يقع في حب فتاة مسيحية

انتهى القائدان من الاستحمام ، واخذوا يتحدثان في شتى الشؤون العامة والخاصة . واثار وجودهما في تلك القبلا ذكرى للحياة الهنيئة الوادعة ، وكانا قد حرماها ردىاً من الزمن بسبب معيشتها في المخيمات والمعسكرات . وللحال اتجهت افكار فابريوس الى افراد عائلته فقال لزميله : ان آخر نبأ اخذته من زوجتي يفيدني ان ولدي الذي تركته صغيراً قد نما واصبح في طول امه ...

وقاطع حديثهما دخول العبد اورسيوس الذي كان يحمل جرة من الماء . استحضرها لهما من اجل غسل الفواكه التي كانت على وشك ان تحضر لهما . وكان اورسيوس ضخم الجثة ، مقتول العضل ، حتى خاله ماركوس احد اولئك المصارعين الذين يمتنون فن المصارعة في الامفيثيترات ودور اللهو .

- وكذلك سأله قائلاً : ما هو الغنامج الذي لديكم في الامفيثيتر ؟

- اجاب اورسيوس بهدوء واتزان : انا لا اعرف شيئاً عن هذا . ولست ممن يعنى بهذه المواضع ...

- قال : وهل تعني ان بلوتيوس لم يفكر في استخدامك كمصارع

فان جسمك الضخم يساعدك على ذلك . وفي وسعه ان يستدر الاموال الطائلة عن طريقك ... !

- اجاب : انني لا احارب مطلقاً ، لان القتل في مذهبي جرم واثم .

- واستغرب ماركوس منه هذا الجواب وقال : اعتقد انه في وسعك ان تقتل خمسين نوياً بيد واحدة ... وهل تعتبر قتل هؤلاء خطية ؟ ! اني اعجب بهذه الافكار الفلسفية الجديدة التي بدأت تتسرب الى بعض الجماعات منكم ؟ !

وغادر ماركوس غرفة الحمام بعد ان ارتدى ملابسه المدنية ، ثم توجه الى الحديقة فاذا فتاة جميلة تلتقط الازهار ، وتلأبها زهرية مصنوعة من المرمر البراق . واخذ ماركوس يحدق في هذه الفتاة ، وكان النظر الاول جعلته اسير حبها . وشرع يميزها فاذا عيناها زرقاوان ، وشعرها اسود ، وعنقها طويل ، وقامتها رشيقة . فناداها قائلاً : اينها الفتنة الساحرة ان كل شيء فيك جميل ... وهل لي ان اعرف اسمك اينها الغزالة الرشيقة ؟ !

- اجابت : اسمي ليجيا ...

- قال : وسوف اقدم بضعة ازواج من الحمام قرباناً على مذبح فينس - آلهة الحب والجمال - تحليداً لهذه الذكري الجميلة والمقابلة السعيدة ...

- وحالما سمعت ليجيا ذكر اسم آلهة الحب والجمال الوثنية صرخت قائلة : لا اخال قرايبتك تسوى شيئاً ..

- وامسك ماركوس بذراعها وقال : يظهر ان بلوتوس قد احسن

الاختيار عندما ابتاعك من سوق العبيد .

- اجابت ليجيا : اعلم ايها القائد العظيم انه لا يوجد سادة او عبيد في هذا البيت ، اذ اننا كلنا اخوة في الرب .

- وفارقت الكبرياء روح هذا القائد فقال لها : ان غياب ثلاث سنوات عن الوطن هي التي قسّت قلبي ، وصلّبت احساساتي فمعذرة ان كنت قد كسرت احساساتك يا ليجيا ...

- قالت : انك لم ترتكب ذنباً يستوجب المساحة . وليتك تتركني لاتابع قطف الزهور ...

واستسلم ماركوس لاحلامه الذهبية المعسولة ، ولم يفق من تلك الاحلام النهارية الا عندما دعاه الخادم لتناول طعام العشاء . فدخل غرفة الطعام وجلس على المائدة مقابل ليجيا . وظلت عيناه تحدقان ، وتمتّلان من جمالها . وكان باوتيوس يجلس على رأس المائدة وزوجته يومبيا في الطرف المقابل .

- وتناول ماركوس جبة زيتون وقال : اتذكر يا فاييوس كيف ان البريطانيين احاطوا بنا قرب مدينة لندن ، وكيف اننا بشجاعتنا استطعنا ان نتغلب عليهم . ثم التفت الى ليجيا وقال : اتفهمين شيئاً عن هذه الخطط العسكرية ؟ !

- قالت : اننا لا احبّ الحرب ... واعتقد ان هؤلاء البريطانيين انما كانوا يدافعون عن اوطانهم ...

اجاب ماركوس بجدة : لا بل هؤلاء حاولوا التمرد على روما . ثم

تطلع الى ليجيا وحدها بنظراته قائلاً : يظهر ان انباء الانتصارات التي
احرزها فيلقنا لم تسرك . وهذه عادة النساء الرومانيات !..

- قالت : انا لست برومانية !..

- واستغرب ماركوس منها هذا التصريح . فتقدمت يومينا لتتقذ
الموقف قائلة : ان ليجيا ليست ابنتنا واسمها في الاصل كالتيا ونحن قد
غيرناه لها ، ساعة تبنيها واتخذناها ابنة لنا . فهي في الحقيقة ابنة
ملك ليجيا وقد أخذت رهينة حرب . وحاولنا ان ننسبها ما اصاب بلادها
بالحرب عليها ، وباشراكها في حياتنا البيئية الواحدة .

وما كادت يومينا تتم حديثها حتى ظهر في الباب رجل مسن عرفوه
للحال بانه بولس رسول الامم . وكان يلبس عباءة من الصوف ، ووجهه
يغيش بشراً وجوراً . ثم صافح بلوتيروس وباقي الافراد الذين حوهم
ذلك المنزل الوداع . وعرفه بلوتيروس على ضيفه ثم قال هذا هو صديقنا
الحميم بولس الطرسوسي - رسول الجهاد الى الامم ...

- والتفت اليه فاييوس وسأله قائلاً : يظهر انك جئت من بلاد
بعيدة لان اثار السفر بادية على ملامحك .

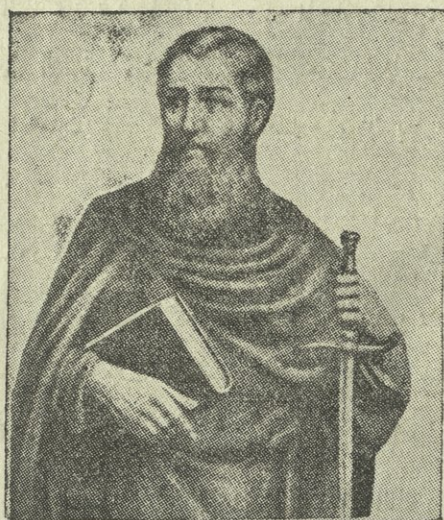
- اجاب بولس : لقد جئت من انطاكية - وقد مرت بعدها
بكورنثوس وها انا الان اهبط عاصمة الامبراطورية العظيمة ...

- وسأله ماركوس : وهل انت يوناني ؟

- اجاب : انني عبراني ، ومولود في مدينة طرسوس من اعمال آسيا
الضرى . بيد انني قد حصلت على الرعية الرومانية ...

- وسأله ماركوس ثانية : واين تقع طرسوس ؟ ! اخلاها احدى
مدن فلسطين ، فقد اشتهرت تلك البلاد بالغتن والتفلاقل ... فقد
سمعنا الكثير عما يجري فيها من تمرد وعصيان ، وتظاهرات وثورات ...
- وقال فاييوس : اخذك يا بولس احد اولئك التجار الذي يترددون
على بلاد الشرق .

- اجاب باوتيوس : ان صديقنا معلم وليس تاجراً . هو معلم للفلسفة ..
- وقاطعه بولس قائلاً : او تظنون انني طيلة هذه المدة كنت اعنى
بالفلسفة ؟ ! كلاً فاننا اكرز بالانجيل سيدي واحمل بشارة الخلاص
الى الامم !



صورة بولس - رسول الجهاد للامم

- قال ماركوس : لا تهمني الفلسفة او التعاليم الاخرى انما يكفيني ان اخوض الممارك ، وان اتمتع بجمال الطبيعة الساحر . فلم بنا يا ليجيا الى الحديقة - تمتع الانظار في جمال الازهار ، ومشاهد الطبيعة الفتانة ...

والتفت سكان البيت حول بولس . واخذوا يسألونه اسئلة متنوعة . واستفسروا عن حال بطرس وهل يحظون بزيارة ذلك الصياد الكبير بلدهم ؟ !

- فاجابهم بولس فيما يتعلق ببطرس قائلاً : انني استغفد لزميلي كثيراً ، فحيثما كنت اتوجه اسمع من الناس ان بطرس كان قد سبقني الى ذلك المكان . ويؤسفني اننا لمدة طويلة لم نجتمع في مكان واحد . فلدى وصولي انطاكية قيل لي انه عاد الى اورشليم ، وافادني آخرون انه يحب ديار الشرق مبشراً وكارزاً بالنجيل المسيح . ويسرنى ان اخبركم ان المؤمنين في كورنثوس افادوني بان بطرس هو في طريقه الى روما ...

وشاع السرور بين افراد ذلك البيت لدى سماعهم هذا النبأ المفرح عن احتمال مجيء بطرس الى عاصمة بلادهم . وهتفت پومبينا قائلة : يا لها من ساعة سعيدة تتيح لنا التحدث الى من عاصر سيدنا وقضى قسماً من حياته برفقته ...

- واجاب بولس : يطيب لي ان اتمس ثمار تلك البذور التي بذرها هذا الرسول الجريء الامين في جهات متعددة . فحيثما ذهبت اجد تربة خصبة

لقبول اسم المحلّص الفادي . انا ادرك ان الصعوبات والشدائد ستعترض سيل
من اوقفوا انفسهم على خدمة الانجيل ... فانا اجد في المسيح قوتي وخري ،
وانا لا استحي بانجيله الذي هو قوة للخلاص ... ثم تطلع بولس في
القائدين الرومانيين وقال مخاطباً سكان الدار : اذا استطعنا ان
نربح هذين القائدين المسيح فاننا نربح عن طريقهما قسماً كبيراً من
ابناء هذه الامبراطورية العظيمة .

وتركت ليجيا الغرفة ، وهبطت الحديقة لتنفرد بنفسها ، وتمتع
بنجوى هادئة مع خالقها . واذا بها تصادف ماركوس يروح ويحي . في
الحديقة . وللحال اقترب منها وجلس على المقعد بجوارها .

- وقال لها : انك يا ليجيا مثال للجمال الخلقي والكمال الانساني .
وليتك تراقيني هذه الليلة الى احدى دور اللاه لنشاهد احدى الحفلات
المستعة ، ونصغي الى انغام الموسيقى الساحرة .

- اجابت : ان نفسي لا تتوق لحضور امثال هذه الحفلات .

- قال اذاً عما قريب تشاهدين المهرجان العظيم الذي يواكب
دخول فيلقنا المظفر مدينة روما .

- اجابت : ولست براغبة في مشاهدة مواكب النصر ايضاً ...

- قال : او لا تدري ان انه عن طريق الحروب تتحقق وحدة البلاد
ويصبح العالم تحت سلطان واحد .

- اجابت : هناك طريقة تفضل بكثير الحروب والفتوحات . انها لا تتطلب سفك الدماء ، واخذ الاسرى ، والالتجاء الى العنف والقسوة . فقد حدثنا قبل قليل زائرنا الكريم عن عالم يتساوى فيه الناس ، ويعيشون في جو مشبع بالحببة الشاملة ، والاخوة الصادقة .

- قال ماركوس : اني اخال ذلك الفيلسوف قد ملاً دماغك بمثل هذه الترهات والاقاصيص ... وعلى الاثر دنا منها محاولاً ان يعانقها ويقبلها ، فنفرت منه ودفعته بعنف عنها .

- وقالت : امثل هذه الطريقة يهاجم قائد شهير امرأة ضعيفة ؟ !

- اجاب ماركوس : ولا تنسي يا ليجيا انك رهينة حرب ، وانك اسيرة لدى الرومان ...

وفزعت ليجيا منه ، ولم تشأ ان تبقى في الحديقة منفردة معه . ولذلك هرعت الى داخل الدار لتختبئ منه فلحقها واخذ يعذبها في اثرها الى ان اعترضه اورسيوس في الباب عندما شاهدها هاربة منه وقال له : ان واجبي ان احرس هذه الفتاة فكف عن مطاردتها ايها القائد . فعلت ثغر ماركوس ابتسامة صفراوية واجابه بتهكم : ساترك لك ايها المصارع الضخم حماية هذه الحسناء ... !

وترك ماركوس الحديقة ، وتوجه الى غرفته ليستغرق في نوم مملوء بالاحلام الذهبية والاماني العذبة . ووجد زميله لم يستسلم لسلطان

الكرى بعد . ففاجأه فايوس بقوله : يظهر ان جبك يا ماركوس
كان قصير الامد !..

- اجاب ماركوس : اجل انه تنقصني الاسلحة لاصطياد هذه
الحمامة الجميلة الشريدة !..

اما ليجيا فذهبت الى غرفتها واغلقت باب مخدعها وركعت امام
صليب الفادي واخذت تصلي بحجارة قائلة : اغفر لي يا الهي غضي
وحقدي ... وساعدني في هذه التجربة التي انتصبت امامي . واضرع
اليك ايها المصلوب ان تظهر نورك لهذا القائد ، فيشعر هذا المحارب
بجيتك ، ويتماس الخلاص على يدك ...



الفصل الرابع



دخول ماركوس روما في موكب النصر

كان يوم دخول الفيلق الرابع عشر العائد من ميادين النصر الى العاصمة الرومانية يوماً تاريخياً مشهوداً . فقد اقيمت اقواس النصر في الشوارع وساحات المدينة ، وشيدت المذابح التي ملئت بالوان الضحايا والقرابين استعداداً لرفعها الى الالهة . وغصت الشوارع والطرق بمجموع المتفرجين وعامة الشعب . واصطفت كتائب من الحرس البريتوري على جانبي الطريق للمحافظة على الامن والنظام .

وما اسرع ما رُفعت تماثيل الالهة التي ملأت الساحات العمومية وباحات القصر الامبراطوري . وزينت الشوارع بالزينات ، واما شرفة القصر فقد كسيت بالارجوان ، ومن تلك الشرفة كان القياصرة يطلون على الشعب ليتقبلوا التحيات منهم وليشهدوا الاحتشادات والمهرجانات المقامة من اجل تكريمهم . ومن تلك الشرفة كان منتظراً ان يتقبل نيرون تحيات الجيش المظفر الذي كان بقيادة ماركوس ، وهو الجيش الذي سلك طريق ايبان اثناء عودته .

وكان ماركوس عندذاك يستعد ليسيير على رأس ذلك الفيلق المنتصر في شوارع العاصمة بعد ان اجتاز بجنوده طريق ايبان التاريخية الشهيرة .

واستعداد ماركوس في تلك اللحظة ذكرى تقلب الشعب الروماني وعدم
اتزان الغوغاء ، اذ كثيراً ما كان القياصرة يخشون تقلب الشعب الفجائي
وتعمرده غير المنتظر ، لذلك كانوا يحسبون الحساب لتلك المفاجآت ،
ويشددون الرقابة ويكثرون من الحراس . ولم يكونوا متأكدين من
نوع الاستقبال الذي سيقابلهم به الشعب فاما ان يكون مقروناً برشق
الحجارة والضرب واما مصحوباً بالهتافات ونثر الازهار والرياحين .

ولا بد ان يكون ماركوس قد حسب حسابه لهذا التقلب المتوقع
من عامة الشعب والمنتظر حدوثه عند الغوغاء . لان الجماهير غدت تقدر
نيرون وتعبده في هذه الآونة في حين انها قبل فترة قليلة من الزمن
كانت تقدر اكتافيا التي غدر بها هذا الطاغية . ولم يكن هذا غريباً
على ماركوس اذ كانت هذه المشاهد مألوفة لدى كل روماني عاش في
ذلك الجو وتحت تلك الاحكام . وكان لا بد لروما ان تشهد في
احتفالاتها العامة هذه خليطاً من الناس ، فقد كنت ترى العالي والجرماني
والبريطاني يترجون مع سكان وادي النيل والفرات ...

وجاءت الساعة التي حددت لسير هذا الموكب الحافل . فسار في
الطليعة عدد من كهنة سيرابيس يرفعون سعف النخيل في ايديهم ، ثم
تبعهم كهنة اريس الحاملين القرايين والتقدمات الى الهيكل المقدس .
وسار في إثرهم رهط من الراقصين والراقصات والضاربين على الطبول
والعازفين على الآلات الموسيقية ... وتتأججت النيران فوق مذابح
الآلهة ، وتصاعدت ألسنة اللهب من فوق كل مذبح استعداداً لشواء
الذبائح والتهام الضحايا . وشوهدت جماعة من الجزائين المقتولي العضلات

يحملون السكاكين الحادة في ايديهم ويسوقون قطعاناً من الخرفان
المرينة بالازهار واكاليل الغار الى الذبح لتقدم كقرايين الالهة التي لا
ترضيا الا الدماء المهرقة واللحوم المشوية ... !

وسار الموكب بانتظام ، وقد بدأ الكهنة ينشدون اناشيدهم
الدينية ، ويؤرجحون مباخرهم الملائى بالبخور والروائح العطرة . وسرت
في ركلهم الجوازي اللواتي كن يرقصن على وقع الآلات الموسيقية ،
ويأتين بحركات ايقاعية مثيرة ، ويرتلن باصوات عذبة رقيقة . وتصادت
بين الفينة والاخرى هتافات العامة التي شقت عنان الفضاء وتعلت الى
السماء داعية بحياة نيرون وخلود امبراطوريتهم العظيمة .

واسترعى انتباه الناس مشهد رئيسة عذارى الالهة قستا فقد ظهرت
روبيكا هذه بردائها الالبيض بالقرب من المذبح المنتصب على مرأى
من الجماهير وعندما رفعت هذه ذراعيها خيم صمت على الموكب ، واصبحت
الاذان تصغي الى نداءها . وما اسرع ما بدأت تدوي بصوتها القوي ،
وتنادي بعبارات واضحة مستجدية الالهة لكي تتقبل ادعيتها وهتفت : يا الهة
روما العظيمة - ويا حامية هذه الامبراطورية التي تسود العالم اسمعينا ...
اننا نضرع اليك ان تصوني امبراطورنا وبلادنا ... اننا نعبدك ...
ورددت الجماهير على الاثر كلمات القرار : نحن نعبدك ...

وما هي الا بضعة لحظات حتى استلقت روبیکا خنجرها وغمستها
في قلوب الخراف المعدة للذبح ... ثم صرخت يا فينس - الهة الحب - اننا

تعبك... ومع شخير الحيوانات الذبيحة ، وسيل دماؤها ردد الشعب
كلمات القرار المألوفة : نحن نعبك !...

وسار الفيلق الرابع عشر بقيادة ماركوس خلف موكب الكهنة
والراقصات . وانعكست اشعة الشمس على اسلحة الجيش المجلية ،
ذلك الجيش المزود بالعربات النحاسية ، والدروع القولاذية ، والسيوف الحادة .
واقتربوا من قصر الامبراطور وكلهم ينتظر الاوامر من سيد البلاد ...
واعادت رويكا النداء قائلة : يا جوبتر رب الارباب ويا نيرون
ابن الالهة ... ولم يسطر الشعب حتى تغم النداء فاذهب يبتغ عالياً :
نحن نعبك كما ...

كان هذا يحدث خارج القصر وفي الشوارع العامة ، اما في الداخل
فكنت ترى نيرون مستغرقاً في لهو وتسلياته ، ومنصرفاً الى عزفه
وغنائه . فهو تارة يتلهى بغازلة پومپيا - المرأة المطلقة الفاتنة التي تزوجها
بعد ان غدر بزوجه الشرعية ، وطوراً آخر كان يوقع على قيثارته انغاماً
عابية ، ويخرج الحاناً غير موزونة . ويهز رأسه عندما يرى ندماء
يشايعون في مسراته ويشنون على براعته في العزف والغناء ، ويكياون
له المديح كيداً بدون حساب ، مع انه كان في واد والفن في
سواده آخر .

وخف اليه مستشاره يترونيوس وهمس في اذنه قائلاً : ان الشعب
لهم انتظارك ، وها هم يحيونك من الخارج ويودون منك ان تظهر



صورة نيرون وهو مستغرق في لهوه ويعزف على قيثارته الانعام النائية

على الشرفة وترد التحية اليهم ... هم مشتاقون لرؤيتك . فاجابه نيرون :
ولماذا يود هؤلاء ان يحرموني من تسلياتي ومتعي الخاصة فانا ارغب ان
امتع نفسي بالموسيقى ، وان ارفقه عن حياتي بعشرة هؤلاء الفائنات .

- وتقدم اليه احد الندماء وقال : لكنك يا صاحب الجلالة تشبه
الشمس في كبد الماء وهمل ترضى الشمس بان تحجب انوارها عن
هذا الوجود .

- قال نيرون : ولكن للشمس ليلاً ... ولا ينتظر مني ان اظل
مشرقاً طيلة ساعات حياتي ! وعلى من اشرق بنوري ؟ ! أعلى هذا
الشعب القدر ، والجاهل والتنة ... او تريدون مني في مثل هذا اليوم

القائظ ان امتزج بالغواغ ! ان الحرارة تكاد تحرقني والانفاس التينة لا بد ان تفسد الهواء علي ! ان هذا الشعب ليطلب الشيء الكثير مني اذ هم يزعجونني ويقلقون راحتي لذلك اصبحت اكرهمهم كما غدوت اكره عاصمتهم ... وكثيراً ما فكرت في هجر هذه المدينة ، والزوح الى الريف لولا ان ظروف الحكم تضطرينني ان ابقى في العاصمة التي اصبحت اكرها وامقتها ...

- وتدخل تيجيليوس رئيس الحرس في المسألة عساه ينقذ الامبراطور من مأزقه فسأله : ما هي ارادتك السنية يا صاحب الجلالة لانفذا لك ؟

- اجاب نيرون : ان هؤلاء الغواغ يزعجونني وهل خلقوا فقط لازعاجي ؟ !

- قال له تيجيليوس : انهم رعاياك ولا بد للامبراطور من رعية يحكمها ... فاصدر فقط اوامرك عندئذ ترى كيف ننفذ هذه الاوامر بسرعة . واذا كنت لا ترغب في مخاطبة الشعب فأنب عنك مستشارك بترونيوس فهو يعرف كيف يتدبر في الامر ويتحدث الى هذه الجموع .

ونفض فجأة نيرون الهوائي المتقلب واضعاً اكليلاً من القار على رأسه ونادى مستشاريه وقواده والامبراطورة ورجال بلاطه ليرافقوه الى الشرفة . وكان الشعب يلح في طلب رؤية عاهل الامبراطورية . وعندما بان في الشرفة دوت الهتافات بجماته . واجال نيرون نظره في الجموع المحتشدة ، واخذ يتفرد في تلك الجماهير التي ملأت ساحات القصر وكان التاج يتراقص على رأسه ، وقد بدا الامبراطور الخليع فاقده

الاتزان خصوصاً بعد ان سمع هذه الهتافات وكلمات الاطراء المتعالية والمتكررة .

وشاهد في تلك الفترة بين الجموع رجل تبدو عليه علامات الوقار والجلال . انه كان يحمل عكازاً بيمينه ، وعينه امتلأتا بنور الرجاء . كان هذا الرجل الغريب الرسول بطرس الذي جاء روما ليزور الاخوة وجماعات المؤمنين . انه قطع المسافات الطويلة كي ينفذ وصية سيده بحمل بشارة الانجيل الى العالم اجمع . وكانت بقربه امرأة لم ترق لها هذه الهتافات فاخذت تنتقدها بهمساتها . وسمعا بطرس تقول لزوجها : ما اسخف هذا الشعب ! انه يهتف بحياة وحش ضار غدر بزوجته وبوالدته ! وطلب منها زوجها ان تصمت خشية ان يسمعا أحد فيشي بها الى السلطات فيخرجونها في غياهب السجون ...

وسمعا الرسول بطرس فقال لها : مسكين هذا الرجل فانه مريض في قلبه وروحه . وليس انسان خلق على صورة الله ومثاله بحيوان ... ولم يدر بخلد احد من الناس عنذاك ان في كلام بطرس تتجسم قوة المسيح التي زحزحت العروش وغيّرت معالم الدنيا بأسرها ...

واخيراً اعطى نيعون اشارته فاذا الموكب يواصل سببه ، والموسيقى تصدح ، والطبول تقرع . وشاهد ماركوس يسير على رأس فيلقه وهو يتأمل ويفكر ، وكانت الفتيات تملأن الطرقات وهن ينثرن الزهور من سلالهم المملوءة بالورود والرياحين . ورائت من القائد التفاتة الى احدى الفتيات اللواتي كن ينثرن الازهار خلفها ليحيا ، فوقف قلبه فرحاً ،

الا ان امله خاب عندما تحقق ان تلك لم تكن عروس احلامه ... ثم عاد فعبس وقطب . وعندما وصل الشرفة التي وقف عليها نيرون رفع يمينه محيياً الامبراطور . وكانت فتاة مقنعة تسير على مقربة منه وتتمتع ببعض الكلمات بصوت خافت قائلة : تذكر يا هذا انك انسان ! وكأنها قصدت ان تصل هذه الهمسات الى اذني القائد المظفر العظيم فتذكره بزوال الحياة وبعدم دوام هذه المظاهر الزائفة .

والتفت نيرون الى العصابة التي احاطت به وقال انظروا الى هؤلاء الابطال كيف يخرقون شوارع روما وسياء النصر تبدو على وجوههم . انهم ابناؤنا الشجعان - انهم ابطال روما الاشواس - هؤلاء لا يقهرون وجدير بنا ان نمجهم وان نخلد ذكراهم ...



الفصل الخامس



لبيما نقفل الى القصر الامبراطوري

وعندما انتهى الاستعراض ، وفرغ الموكب من تطوافه ، عاد القائد ماركوس بصحبة خاله بترونيوس ليمكث معه بضعة ايام في داره الريفية قبل ان يتوجه الى موطنه في صقلية . وكان ماركوس جد مشتاق ان يرى مسقط رأسه ، ويشاهد ممتلكاته ومرايع فتوته ، واماكن ذكريات عهد طفولته . وشعر بترونيوس انه في حاجة ماسة الى الراحة لا سيما وان مسؤوليات الادارة كانت تستنزف نشاطه وتؤثر على صحته .

وجلس بترونيوس في شرفة داره الريفية ، وامامه مائدة ملاهى باصناف الفاكهة . فتناول رمانة بين اصابعه واخذ يقلبها ويتأمل في شكلها ثم قال هذه جاءتنا من قرطاجنة . . . وبعد ذاك تناول عنقوداً من العنب وتذوق حباته واعقب قائلاً : وهذا جاءنا من بلاد الاغريق . . . وها هي فاكهة الدنيا تجتمع في روما - ولا مشاحة فروما سيدة العالم ، وعاصمة الدنيا ، واليها تشحن الاثمار اللذيذة ، والمأكولات الشهية .

واخذ بترونيوس ينتظر مجيء ماركوس الذي تخلف عنه لقضاء بعض حاجاته ، وتنظيم شؤون جنوده . وخطب صاحب الدار رئيس الخدم قائلاً : دلّ ماركوس على مكاني ، وعندما يحضر اجلب له تلك الجارية الجميلة التي استحضرتها من اسبانيا ... فماركوس القائد العظيم والقاتل للامصار والبلدان لا بدّ ان يكون قد مهر ايضاً بفتح قلوب الحسان ...

ودخل ماركوس الدار وهو يرتدي ملابسه العسكرية ، فالارصفة كانت تزين صدره ، والخوذة النحاسية تغطي رأسه ، والسيف يتلأأ على خصرته ، والقوة تتجلى في عضلاته ، والحيوية تشيع في كيانه وحيائه على الاثر بترونيوس قائلاً : اهلاً بزيئة الشباب ، وبقائد جيوشنا المظفورة . فانت بطل الساعة يا ماركوس ومفخرة البلاد . واعتقد ان نبرون سيكافئك على اعمالك الجبارة التي حققتها للامبراطورية ، فيوليك ادارة احدى الولايات ...

وشكر ماركوس الحفاوة التي استقبله بها خاله . وقال انني قد تعبت كثيراً هذا اليوم ، وقد كان مكان الاستعراض شبه الجحيم من شدة الحرارة ... فدعاه خاله ليتناول بعض المرطبات عساها تخفف عنه متاعب النهار . ثم ناوله بعضاً من تلك الفاكهة اللذيذة التي جلبها له من الكروم والحدائق المجاورة للجبل المقدس . وقال له وهو يناوله عنقوداً من العنب الشهي : انا لا اعتقد ان عنب صقلية اشهى من هذا العنب الذي ينمو بالقرب من جبل اولبس .

واخذ ماركوس يستمرى طعم تلك الفواكه اللذيذة . ثم سأل خاله عما ينص عليه القانون الروماني بخصوص الرهائن ؟ فربت بترونيوس على كتفه وقال : لا تفكر في المسائل القانونية الآن ... وان كنت ترغب في الحصول على احدى الرهائن فلي جارية جميلة جلبتها لك من اسبانيا وسوف اضعها تحت تصرفك .

وعلى الاثر نادى بترونيوس رئيس خدامه وامره ان يحضر الجارية ... وللحال جاءت ووقفت امامهما . واخذ بترونيوس يستعرضها من الخلف ومن الامام ليثير عاطفة ماركوس ويفتنه بجمالها ، وبرشاقة جسمها وقوامها . وبعد ان فرغ من هذا الاستعراض امر بترونيوس رئيس الخدم ان يعيد الجارية الى غرفتها قائلاً : انها الآن ملكك يا ماركوس . وتمت الجارية بصوت خافت قائلة : يا سيدي انني لا اريد ان اذهب مع احد سواك لاني اود البقاء عندك ... وفي وسعك ان تسميني اشد صنوف العذاب انما رجائي ان لا تبعدني عنك ...

وسمع ماركوس همسات الجارية فقال لها : اطميني بالآ فانا لا اريد اخذك ، وفي وسعك البقاء حيث تشتهين . وتأثر بترونيوس من تصريح ماركوس هذا وقال له : هل أثرت عليك كلمات هذه الجارية ... سوف تنال عقابها على جرأتها هذه . اما انا فقد آثرتها على سمة من اجود الحيل ، واحتفظت بها لاقدمها اليك على اثر عودتك من ميادين الحروب ... وللحال امر بترونيوس رئيس الخدم ان يوقع على ظهر الفتاة خمس جلدات شديدة عقاباً لها على قمحتها وجرأتها في الكلام .

وظلّ ماركوس مصرّاً على رأيه في عدم اخذ هذه الجارية مصرحاً
بأنه يرغب في الحصول على تلك الفتاة التي رآها في بيت بلوتس .

- وسأله خاله : ومن تكون تلك الفتاة التي نالت حظوة
في عينيك .

- اجاب : هي احدى رهائن الحرب وتدعى ليجيا .

فطمأنه بترونيوس بأنه يسيل عليه الحصول عليها ، اذ ان جميع الرهائن
هي ملك للدولة . وما دام الامبراطور راضياً عن اعماله فمن السهل
الحصول عليها . وعلق ماركوس على كلام خاله بقوله : كان الامبراطور
عازماً ان يقدم لي ولاية مصر مكافأة على اعمال البطولة التي قت بها ،
وها انا اوتر ان يحتفظ جلالته بمصر شريطة ان يهبني ليجيا ...

وصمت بترونيوس قليلاً ثم قال : اخشى ان يكون اخذ ليجيا لا يطيب
لبلوتس ، لان هذا القائد المتقاعد يدعي ان ليجيا هي ابنته المتبناة ...
فيأله من فيلسوف غي ..! فامثال هؤلاء الفتيات قد خلقن للمتعة ...!
وها هي الجارية الاسبانية التي استعرضتها امامك قد نالت جزاءها ،
ولا بدّ ان تكون قد استمعت الى وقع السياط على ظهرها ... ورائت
من ماركوس التفاتة الى الغرفة المجاورة فاذا الجارية تعانق تمثال بترونيوس
وتنظر اليه تعلقها الشديد بصاحبه ، ومحبتها العظيمة له .

اما ليجيا فانها بعد ان انتهت من حضور موكب الاستعراض ،
أخذت تشعر بانقباض في نفسها فأبت الى البيت خزينة ومنكمشة .

لقد آلتها مشاهد العظمة الفارغة ، والابهة الزائفة فازت في مخدعها
تأمل في تلك الرموز التي غشت جدران غرفتها . فشاهدت الصليب
الذي هو رمز الآلام والاحتمال ، والسكة التي كانت شعار المسيحيين
عندذاك ، فارتسمت في مخيلتها مبادئ المسيحية الرفيعة ، ومثلها
السامية ...

وفيا هي غارقة في تأملاتها اذا قرع عنيف على الباب يعكر
عليها صفوها . وسمع صوت يدوي قائلاً : باسم الامبراطور نأمركم
ان تفتحوا الابواب ... واستجيب الامر للحال وظهر احد ضباط الحرس
البريتوري وقال : باسم نيرون ندعوك ان تسلمونا الفتاة الليجية التي في
هذا المنزل . ووقفت يومينا مشدوهة امام الضابط وقالت : لكن
ليجيا ليست من رهاث الحرب كما ظن صاحب الجلالة بل هي ابنتنا
المتبناة ... ورؤعت ليجيا لدى سماعها الامر الامبراطوري الصادر
باستدعائها الى القصر . والتصقت بيومينا مرددة الكلمات التالية :
اماه ... اماه ... لا تتركيني ... !

واجتمع الخدام حول ذلك المشهد المشير واضطرب سكان المنزل
لهذه المفاجأة غير المنتظرة . اما الضابط فظل مصراً على تنفيذ اوامر
الامبراطور . ولما تأكد الجميع انه لا مفر من تسليم ليجيا اخذتها
يومينا الى غرفتها وقالت لها : سأزودك برسالة الى احدى سيدات
البلاد لتستأنسي بها ، ولتجدي عطفاً منها ، لانها من السيدات المؤمنات

اللواتي كنّ يحضرن اجتماعاتنا عندما كنا نعقدّها في السرايب بحضور
 احد رسل المسيح . وكثيراً ما كنا نلصق في هذه السيدة
 ميلاً شديداً لمطالعة رسائل بولس الرسول ، او سماع مواعظ بطرس -
 تلميذ السيد المسيح .

وسارت ليجيا مرغمة برفقة الضابط الى القصر الامبراطوري وقد
 تركت ذلك المنزل الذي احبته ووجدت فيه حسن المعاملة والعطف
 الابوي . ولحسن الحظ ان بلاوتس كان متغيباً عندذاك عن المنزل ،
 لانه لو كان حاضراً فلربما وقع اصطدام بينه وبين الضابط الذي انيط
 به اقتياد الفتاة الى القصر الامبراطوري .

ووضعت ليجيا في احدى الغرف بانتظار مجيء المسؤولة عن
 ذلك الجناح . ولم تكن تلك سوى اكي - السيدة التي اوصت
 بها يومينا . وظلت ليجيا في انتظار اوامر نيرون متوقّبة ما سيجمله
 لها الغد المجهول ...

الفصل السادس



ليجيا تلتقي بماركوس في بلاط نيرون

كان نيرون بعد ان غدر بزوجته اكتافيا ، وبوالدته اغريبا قد وقع في اشراك حب احدى الفاتنات اللواتي ملأن قاعات قصره ، اذ تزوج بيوپايا التي جعلها شريكة حياته وامبراطورة تشاطره اعباء حكمه . وكان نيرون في الوقت ذاته يحب فتاة اخرى اقامها مديرة على الجناح المختص بالنساء في القصر الامبراطوري ليكون دوماً قريباً منها . وكانت الفتاة التي اسند اليها نيرون امر ادارة الجناح النسائي موامة بالامبراطور ومغرمة به ، ولم تتحرك عوامل الغيرة في قلب بيوپايا لانها اعتبرت اكني كباقي المستخدمات في القصر ولم تلاحظ ان لها تأثيراً كبيراً على نيرون .

وعندما جيء بليجيا الى القصر استقبلتها اكني وقادتها الى الجناح المختص للنساء . وما اسرع ما جذبها جمالها ، ورشاقة قامتها ، وسحر عينيها ، فاخذت تتمييزها وتتفحصها .

- ثم سألتها : هل انت تلك الرهينة التي أخبرت عنها .

- اجابت ليجيا وكان التعب بادياً عليها : بالايجاب ...

- ثم قالت اڪتي : انا هي المسؤولة عن هذا المكان - ومهتي هي الاشراف عن هذا القصر ...

- ولمست ليجيا فيها عطفاً ورقة فتجاسرت بان تسألها قائلة :
أستطيعين ان تحبريني عن سبب جلبي الى هذا المكان ؟ !

- اجابت اڪتي : اخالك نلت اعجاب الامبراطور ، ومن اجل ذلك دعاك الى حضور الحفلة التي ستقام الليلة في هذا القصر .

- قالت ليجيا باستغراب : بيد ان الامبراطور لم يرني أبداً ، ولا بد ان يكون وراء الغيوم ما وراءها ... !

- اجابت اڪتي : هذا عين ما حدث لي قبل سبعة عشر عاماً عندما جُلبت الى هذا القصر ، فلم اكن لاعرف السبب في استدعائي بيد انه كان من حسن طالعي ان حظيت مع مرور الزمن بالتقرب من سيد البلاد ، وها انا الآن جنة سعيدة لاكون في رعاية هذا الامبراطور الذي يحكم اجزاء هذا العالم الواسع .

وتقدمت على الاثر جارتان نوبيتان لتكونا على استعداد لتنفيذ أوامر سيدة القصر ، ولدى مشاهدتهما ليجيا سُحرن بحسنها وبجمالها . وللحال امرتهما اڪتي ان تعدا الحمام الساخن ، وتقلانه بالطيوب ، وتهيئاً الملابس التي تليق بهذه الفتنة التي ستقابل الامبراطور . فترعا ثيابهما واخذاها الى الحمام ، ثم وضعا عليها رداء ازرق كان قد جُلب من بلاد فارس ، فبانت ليجيا فتنة تسي العقول بجمالها وسحرها .

وخضعت ليجيا للاوامر ، ونفذت جميع ما أمرت به . وكانت عيناها
تدمعان وظلت ترمق اكيي بنظرات استعطاف .

- فقلت لها اكيي : علمت انك انت الفتاة التي تربيت في بيت
بلوتوس وفي رعاية زوجته ...

- وسألتها ليجيا مستغربة : وهل تعرفين ذلك البيت ؟ !

وقطع عليهما الحديث دخول الماشطة التي جاءت لتمشط الشعر ليجيا
وتضفره وتدهنه بالطيبوب وتلاؤه بالعطور ...

- وبعد الانتهاء من عملية التجميل قالت لها اكيي : انت الآن
ضيقة القصر ، ورهينة سيد العالم ... واني انصحك الاتحالي مقاومة
ارادة السلطان فان اية مقاومة تكون ضرباً من المحاقة ... واخذت
اكيي تدهن وجه ليجيا بالزيوت المعطرة ، وتحضبه بالطيبوب العربية ثم
ألبستها صدرية ذهبية اللون ، ووضعت في رجليها حذاء ابيض
مزخرفاً بالارجوان ، وزينت جيدها بعقد من اللؤلؤ ، ثم رشت شعرها
بغبار الذهب .

وعلى الاثر اقتادتها في دهليز يؤدي الى قاعة الولاثم ، وتطلعت ليجيا
حولها فاضطربت لانها خالت نفسها تقاد الى ساحة الموت . ونادت اكيي
احد الحراس وقالت : هذه هي الرهينة التي استدعاها الامبراطور .
والتفت ليجيا الى اكيي وقالت : لا تتركيني وحدي بل رافقيني ...
ولكن اكيي اعتذرت قائلة : ان الامبراطور لم يدعني واطنه لا يرغب
ان اكون حاضرة في تلك الحفلة ...

ودخلت ليجيا الى غرفة واسعة كانت تتجاوب فيها الآلات الموسيقية المتنوعة . وأشار الجندي اليها ان تجلس على مقعد لا يبعد كثيراً عن عرش نيرون . واجالت ليجيا بصرها الى ما حولها فاذا الامبراطور يجلس على الطنافس المخملية يحيط به ندماؤه ومستشاروه ، وامامهم الموائد التي حوت اشهى الاطعمة واخر اصناف المشروبات وعلى مقربة منه جلس القواد والنبلاء وسفراء الدول . وانتشرت الجوارى في القاعة استعداداً للخدمة ، ووقفت العازفات والراقصات على اهبة الاستعداد لتمثيل ادوارهن ، ولادخال البهجة الى قلوب الضيوف والمدعوين متى طلب منهم ذلك .

وما هي الا بضع دقائق حتى عزفت الموسيقى ، وابتدأ الرقص واخذت ليجيا تتأمل في هذه المشاهد الخليعة ، وفيما هي مستغرقة في التفكير العميق بهذه الامور النابية اذا بماركوس يقترب منها ويبتسم لها . اما هي فاطرقت حياء ، ولم تنبس ببنت شفة خشية ان تثير احساساته ، وتهيج عواطفه .

- اما هو فدنا منها وقال : ها قد جلبتك الى هذه القاعة بمنتهى الاحكام افلا استحق ابتسامة منك ؟ !

- اجابته : لا تنس ايها القائد العظيم والقاتح الشهير انك استخدمت ثلة من جنودك جلبي الى هذا المكان .

- اجاب ماركوس : وهل تجهلين ان البضاعة الجيدة تستدعي دائماً حراسة قوية . ولا اخالك الا مسرورة لوجودك هنا اذ ان الكثيرات

يُحسدنك على هذا الامتياز . وظلت ليجيا صامتة ، وحاولت ان تخفي وجهها لكي لا ترى تلك المشاهد الاباحية المثيرة غير ان ماركوس تابع قوله : او لم يخبرك معلمك بولس شيئاً عن هذه المشاهد والافراح ؟ ! اني اخاله قد حبب اليك سكنى الكهوف والاعتزال مع النساء والابتعاد عن مسرات ومباهج هذا العالم ... ! ليتك شاهدت موكب النصر الذي واكبني ساعة دخلت مع فيلبي مدينة روما ، فقد حفل النهار بمواكب المجد والفخار ، وكانت الاعلام تحفّق في كل مكان . واني اصرح اليك انني وسط هذا الموكب الحافل بالوان النصر بقيت اطلع اليك واهفو لمشاهدتك ...

- ولا تظنين يا ليجيا اني اله حرب وبلا قلب ... فاننا لا اهاجم قلبك كما اهاجم الحصون المنيعه والاسوار الضخمة ...

- وقاطعته ليجيا بشقة بكاء ، وبنحيب أليم قائلة : لا اريد شيئاً من مسرات الدنيا كلها . اني اتوق ان يطلق سراحى وان يسمح لي بالعودة الى بيتي .

* * *

ودوت الهتافات في القاعة : ليحيا قيصر - ليحيا نيرون . ودخل نيرون وهو يترنج ذات اليمين وذات الشمال . ووقف الجميع اجلالاً لذلك الشبح الخفيف ، وظلوا واقفين الى ان امرهم نيرون ان يجلسوا . ثم حرق كميات من البخور ورشت العطور ليعبق الجو بالروائح الزكية .



صورة ليجيا وهي تتطلع بازدرء الى مشاهد الخلاعة والفجور

ونثرت الازهار على ارض الغرفة . واخذت الطبول تقرع ، والموسيقى
تصدح والراقصات يقمن بمركات مهيجة مثيرة . وساد المكان الوان من
المرج والمرج والفتنة والاغراء . ووسط كل هذا كنت ترى ليجيا
تنقبض وتنكمش ، وتتمنى لو ان صاعقة انقضت على المكان فقتلت
جميع العابثين ، وحشود المجتمعين الفاسقين .

وبعد ان استوى نيرون على عرشه اخذ يتفرس في الجوع واضعاً
نظارة خضراء على عينيه ليرى الحضور عن طريق عدسة نظارته الخضراء .
ورانت منه التفاتة الى ليجيا فراها تجلس بالقرب من ماركوس فعرف

انها هي الرهينة التي طلبها منه القائد الاعظم . وهمس في اذن مستشاره بعد ان تفحصها قائلاً : يظهر ان ماركوس عرف كيف يختار الفتيات الجميلات ... انها بالحقيقة على جانب كبير من الجمال بيد انه لو كان خصرها اوسع قليلاً لآخذتها لنفسه ...

ثم جلس ليصغي الى الموسيقى ويمتع نظره بالرقص الخليع . واخذ يحتسي كلسات الخمر ، ويهز رأسه ويغني غناء مجرداً عن كل لحن موسيقي . وكان الناس حوله يتملقونه بالاصغاء الى غنائه ، ويقلدونه في حركاته وضروب الخلاعة ... وسمعه الناس يقول : لا يتم سروري ولن يتكامل فني الا اذا شهدت هذه المدينة تحترق ... فعما قريب ينتهي الربيع ، ويداهما الصيف بجرارته اللاذعة فتنتشر الروائح الفاسدة وتبدأ جوانب هذه المدينة الموبوءة . بيد انني عندما انقل بلاطي الى مدينة انتيوم فعندذاك يتكامل فني ، ويستقيم انشادي ، وتنسجم موسيقي ...

* * *

وكان الناس في تلك الفترة يشاهدون مصارعة عنيفة بين زنجي وأحد المصارعين الهواة . وما هي الا بعض دقائق حتى قبض المصارع على الزنجي بيده من حديد ، واسال الدم من فيه ، وأراد أن يطبق عليه فيميته لولا انه انتظر اشارة من الامبراطور لينال موافقته للقضاء على ذلك الزنجي المسكين . والتفت الامبراطور الى هذا المشهد واعطى

الإشارة بالموافقة عن طريق رفع أيها م. فابتسجت الجماهير المتحجرة القلوب لرؤية حياة ذلك البائس تطوى على مرأى منهم .

ثم نهض نيرون واخذ يتجول في النحاء القاعة فرّ بماركوس وشاهده يجلس بقرب ليجيا وقال له : اظنك قد اعتبطت بهذه الرهينة التي وهبتك اياها ... وخاطب ليجيا قائلاً : قد وهبتك لهذا القائد الباسل مكافأة له على خدماته الكثيرة واخلاصه غير المتناهي . ومنذ الآن ستلتحقين بماركوس ولا تكونن لك ثمة علاقة بأسرة القائد بلوتوس ...

- والتفت ماركوس الى ليجيا بعد ان ابتعد الامبراطور عنهما وقال : الآن تدركين موقفك تماماً فانت الآن ملكي ، اذ وهبني اياك حاكم البلاد . فلا ضرورة للغبوس - ودعينا نتبادل الحب لان الحب هو الحياة .

- اجابته : وما يهيك من الحب ما دمت انا رهينة لك ... فما عليك ايها القائد الا ان تأمر فانصاع بدوري لاوامرك !

وحزّ في قلب ماركوس ان يرى ليجيا تجافيه وتنفر منه . وانذرها بانها اذا استمرت على هذا الجفاء فانه يحملها الى بيته قسراً ويتصرف بها كيفما شاء . لكنها قالت له : اعمل ما بدا لك ... وتصرف بي مثلاً تريد ... اما انا فساظل اواظب على الصلاة من اجلك ...

وجاء رسول من الامبراطورة يستدعي ماركوس بان يمثل بين يديها . فنادى ماركوس احد الجنود وقال له : خذ هذه الفتاة الى

بيت بترونيوس وسلمها لرئيس الحراس هناك . ومن ثم توجه ماركوس
ليقابل الامبراطورة التي بعثت تستدعيه .

وانحنى القائد العظيم بين يدي الامبراطورة ، وبعد التحية امرته
بالجلوس ثم قالت له يظهر انك وجدت صعوبة في اثبات ملكيتك لهذه
القتاة . فالقتال بين رجل وامرأة مبدعة لاضاعة الوقت ولاستنزاف الحيوية
والنشاط . واخذت تستدرجه في الحديث عساها تستميله اليها ، وتغريه
بجبالها وتوقعه في جبالها .

اما ليجيا فخرجت في طريقها على اكتي التي استقبلتها ببشاشة
وزودتها ببعض النصائح والارشادات . وشاهدتها ترسم شكل السمكة
فادركت اكتي ان هذا هو شعار المسيحيين . فقالت لها : تشجعي
يا ليجيا فان لديك اعظم قوة في العالم . وظلت ترافقها بنظراتها وهي
سائرة بصحبة الجندي . واطلت من النافذة لتزودها بنظرة اخيرة ورسمت
لها اشارة الصليب لتضعها في حماية المخلص الحبيب ...

الفصل السابع



مقابلة ماركوس لبلو

آب بلوتوس الى داره وحزن كثيراً عندما عرف ان ليجيا قد أخذت من بيتهم قسراً . وظل قلق البال مترقباً انتهاء الحفلة التي اقامها نيعرون ليعرف شيئاً عن مصير ليجيا . ولذلك بقي يذرع ارض غرفته وامارات الاضطراب بادية على محياه . وتقدمت زوجته طالبة منه ان يأوي الى فراشه ، ويستكين الى الراحة .

وجأةُ سَمْع قرع شديد على الباب وعلى الاثر جاءت الخادمة تنبي . بدخول احد الضباط . ورائت منهم التفاتة الى النافذة فاذا عربة القائد ماركوس بالباب واحد الجنود يمسك اعنة الخيول . ودخل ماركوس بدون استئذان وقال : قد جئت لافتش عن ليجيا . . . فاخبروني أين هي ؟ !

- اجاب بلوتوس : اننا لم نَرِ ليجيا منذ الساعة التي اخذتوها من عندنا وحملتوها الى قصر الامبراطور .

- قال ماركوس : لقد حملها ثلاثة من اتباعكم بينهم ذلك المصارع القوي اورسيوس . واعتقد انهم اخبأوها عندهم - فاطيروها حالا وسرياً . . .

- اجاب بلوتوس : لكننا لا نعرف مقرها . وهي لم تحضر الى هنا .

- قال ماركوس : انت تكذب ايها القائد ...

- وقاطعه بلوتوس قائلاً : لم اعتد الكذب يا ماركوس ... واني اقسم لك بشرفي انني لا اعرف مكان ليجيا . وفي وسعك ان تقتش البيت كله لتأكد من صدق كلامي !

- قال ماركوس : ولا تقتس يا بلوتوس ان الامبراطور وهبني ليجيا فهي تخصني ، وقد اصبحت ملكاً لي ...



وتأثر بلوتوس لدى سماعه هذا الخبر وقال : ما اقسى هذه القوانين التي تسود روما ! وما افظع هذا الحاكم الذي يصدر مثل هذه الاحكام الجائرة ! ألا يكفي نيرون انه غارق في ملاهيه وفساده ؟ ! او يريد ان يتصرف بمقدرات الناس كما يشاء ؟ ! وللحال اقتربت زوجته منه ورببت على كتفه وطلبت منه ان يرفق في الحديث خشية ان يصل ما يتفوه به في سورة هياجه الى مسامع الامبراطور ..

وحاول ماركوس ان يترك البيت متأثراً من عدم اهدائه على من جاء يسعى من اجلها . فاقتربت منه پومينا وقالت : انا نعرف انك تحب ليجيا وتهواها ، وانك قد اصبحت اسير حبها وجمالها ، وكل ما نرجوه لك ان تحظى بعروس احلامك ، وان تتحقق لك هذه الاماني المرجوة .

وركب ماركوس عربته التي اقلته الى فيسلا بترونيوس . واخذ

يلهب ظهور خيوله بسياطه ليصل بسرعة الى دار خاله . وحالما وصل
 القيلا دخل على بترونيوس فوجده يتناول طعامه . ولاحظ بترونيوس
 الاضطراب البادي على وجه ماركوس فحاول ان يسري عنه ، ويخفف
 من اضطرابه فأخذ يسأله بانواع الحديث ، داعياً اياه ان يتناول الطعام
 الشهى معه ومن ثم يرافقه الى انتيوم حيث المناظر الطبيعية الفتانة التي
 تنسيه جميع همومه . وختم حديثه بقوله : لا تجعل حب هذه الفتاة ينغص
 عليك مسالك عيشك فليجيا رهينة حرب ، وهي لا تعدو اكثر من
 فتاة مشردة !

- اجاب : لكنني اهراس يا بترونيوس - ولا ارى للحياة معنى
 بدونها . ثم استسلم الى فترة من التفكير والتأمل . وبعدها قال :
 لاحظ شيئاً غريباً في تصرفات بلوتوس واهل بيته . فهم يختلفون عن
 باقي الرومانيين في احاديثهم وتصرفاتهم مع انهم من سكان روما
 الاقحاح ... وقد لاحظت ان رجلاً غريباً اخذ يتردد عليهم ولقد قيل
 لي انه من مدينة طرسوس وان اسمه بولس . فهل تعرف عنه شيئاً
 يا بترونيوس ؟

- اجاب : ان بولس فيلسوف احمق ، وهو يتجول في اجزاء
 الامبراطورية مبشراً باسم المسيح . وقد حكم عليه نيرون بالنفي .
 ويخيل اليّ ان اسرة بلوتوس قد تأثرت من تعاليمه . واني لاعجب منك
 كيف تود ان تختار شريكة حياتك من بيت متأثر بهذه المبادئ .
 الجديدة . واني اعتقد يقيناً ان ليجيا قد اخذت تميل الى المبادئ المسيحية

ولا اخفي عليك ان اتباع هذه الشيعة قد بدأوا يتفشون بيننا ويثشون
تعاليمهم في اوساطنا . انهم يجتمعون سرّاً في السرايب والمحاجر
ويعكرون سلام البلاد ، ويزعجون مجلس الدولة . وقد صدرت الاوامر
الى رئيس الحرس ليتعقبهم ويستقصي اخبارهم ويستجوبهم .

- قال ماركوس : سأطلب اذاً من تيجيوس - رئيس الحرس - ان
يفتش لي عن ليجيا ...

- اجابه بترونيوس : يخيل اليّ ان القوة لا تنفع مع هؤلاء
المسيحيين وقد تحملهم الشدة ان يخفوا هذه الرهينة ويواروها عن الانظار .

- وسأل ماركوس : وماذا تستطيع ان تعمل ؟ !

- اجابه بترونيوس : عليك بالالتجاء الى شيلو المنجم الشهير ،
والساحر القدير . فهو كثير الاطلاع ، واعتقد ان هذا الرجل الاغريقي
يستطيع ان يساعدك ، ويدلك الى مكان حبيبتك ... وللحال امر
بترونيوس خادمه ان يدل ماركوس على بيت شيلو وقال لماركوس قبل
ان يرحله : اود منك انه متى وجدت ليجيا ان تأتي واياها اليّ لتصرفها
بعض الوقت عندي في انتيوم ...

وجلس بترونيوس ليكمل طعامه . وكانت يونيس على مقربة
منه فقال لها : لقد سمعت قصة حب ماركوس ... أليس الحب ضرباً
من الحماقة ؟ !

- اجابت يونيس : اذاً انا اولى اولئك المحقق ...

- وسألها بترونيوس : ومن تجبين يا يونيس ؟ !

- اجابت : انهم تنبأوا لي ان الالم والسعادة هما من نصيبي ...

- قال : لكن سؤالي لك عن تجبين ؟ ! فاخبريني هل تجبين

الكسندروس او مرمليون او اي شخص من سكان هذه الدار ؟ !

- اجابت : اني لا احب احداً سوى سيدي ...

- قال : وهل ترغبين في مرافقتي الى انتيوم .

- اجابت : هذه منتهى سعادتي ...

* * *

اما ماركوس فقد توجه الى بيت شيلو حيث وجده لاهياً في غرفته المملوءة بالآلات الفلكية ، والادوات السحرية ، والحرائط المتنوعة . وباغتته ماركوس بسؤاله : هل تستطيع يا شيلو ان تدلني على مكان تلك الفتاة التي كانت تسكن بيت بلوتوس والمعروفة باسم ليچيا .

- اجاب شيلو : عليك ان تترث قليلاً لاني ارجب ان اتحقق ان كانت هذه الفتاة ترافق تلك الشيعة من المسيحيين . فهؤلاء قد اتخذوا السمكة كلمة السر لهم - وهذه الكلمة تتألف من اول الحروف اليونانية المعبرة عن اسم الههم . وتناول شيلو على الاثر درجاً كبيراً ظهرت عليه تلك الكلمات مكتوبة بوضوح : يسوع المسيح ابن الله . فتأمل ماركوس فيها وسأله : وهل تعرف اين يجتمع هؤلاء المسيحيون ؟ !

- اجاب : انهم يجتمعون في المغاور والمحاجر وفي السرايب خارج

المدينة . ونحن نخشى الامتراج بهم لانهم اعداء للجنس البشري فهم
قتلة الاطفال ومسممو آبار المياه ...

- وسأل ماركوس : وهل هم عازمون على الاجتماع هذه الليلة في
مكان ما ؟

اجاب شيلو : ربما كان ذلك ... بيد انه لا بد لنا من التستر
والتسلح ان كنا نريد ان نقشي اماكن عبادتهم .

- قال ماركوس : ان رغبت استأجرت لك نفراً من الرجال
الاقرباء لحمايتك .

- اجاب شيلو : حسن فلنتلاق عند غروب الشمس هنا . ولا تنس
ان تجلب لي بعض النقود لاقام هذه المهمة . فناول ماركوس كيساً من
النقود وقال له : ان خدعتني ايها الاغريقي فسألهب ظهرك بالسياط ...



الفصل الثامن



ماركوس يحضر اجتماعاً يخص المسيحيين

وتوجه ماركوس صجبة كريتون المصارع الى بيت شيلو . وظل
الثلاثة في غرفة ذلك العراف الاغريقي بانتظار حلول الظلام . وعندما
توارى نور النهار سار الثلاثة من بوابة المدينة قاصدين بعض المحاجر
المجاورة . وكانوا يحملون المصاييح بايديهم ، ويضعون الحناجر في
أحزمتهم .

وبالقرب من كثنان رملية وتلال صخرية شاهدوا اشباحاً يفدون
الى ذلك المكان المنعزل زرافات ووحداً . نخلوهم بادی . الامر
جماعات من المتشردين او عمالاً حفر القبور ، لكنهم عندما اصغوا الى
اناشيدهم عرفوهم انهم المسيحيون الذين جاءوا لعقد اجتماعات سرية في
تلك السرايب التي تخفيها بطون المحاجر .

واخذ الثلاثة يترقبون هؤلاء الجماهير عن كُتب ، وكانوا يسمعونهم
يرددون اسم المسيح ، ويتغنون بترانيم عذبة مثيرة . ولم يكثر
ماركوس الى كلمات الترنيم ، اذ كانت ليجيا هي شغله الشاغل .
وجذبت مسامعه تحياتهم اللطيفة بعضهم لبعض . فقد تبادلوا التحيات
وعبارات الود بقولهم : المجد للمسيح ... وسلام الله لكم ... وكلمة

سمع ماركوس صوتاً خاله صوت ليجيا فكان قلبه يخفق ، ومزاجه يضطرب .

واحتشدت الجماهير بالقرب من مكان مهجور شابه شكله الامفيثياتر ، ومن هناك دخلت تلك الجماعات الى احد السرايب . وعلى ضوء المشاعل المتلائية التي صنعوها من القار اخذوا يشدون بترانيمهم الدينية المنعشة . فكنت تسمعهم يهتفون باسم المسيح ، ويمجدون شمس البحر الذي هو نور العالم .

واقاموا من احدى الحجارة الكبيرة منبراً ، ووقف بجانبه بولس الرسول يكرز ويلمس جباه المؤمنين . وتراءى في المؤخرة صليب خشبي كان يضيء على الموقف جلالاً ووقاراً . وكان نيزاريوس يحمل طشتاً من



مشهد النساء المسيحيات المصفيات الى اقوال بولس وتظهر ليجيا بينهم

الماء ، ومنه كان بولس يتناول قطرات مقدسة فيسبح بها جبين المكرسين . وكانت النساء آذاناً صاغية الى الكلمات الحلوة التي تفوه بها هذا الرسول الامين .

واستطاع ماركوس ان يميز بولس لانه كان قد شاهده في بيت بترونيوس . وخشي شيلو ان يكتشف امره ، لانه كان يخاف كثيراً من سر المعمودية . فاخذ يلج على ماركوس ان يسمح له بترك المكان ، ولكن ماركوس هدد بالقتل ان هو حرك ساكناً او خطا خطوة في سبيل الفرار . وظل بولس يعتمد من تقدم المعمودية حتى اذا ما انتهى من اجراء هذا السر المقدس خاطب الجماهير قائلاً : يسرنا ان يكون معنا اليوم احد تلاميذ المسيح الذين سمعوا كلامه ، وكانوا له عوناً في نشر رسالته . حقاً انه يطيب لي ان اقدم اليكم ذلك الصياد الجليلي المسمى بطرس . فقد جاء من اورشليم ليشهد تأسيس الكنيسة المسيحية في مدينة روما .

وما كاد بولس يفرغ من كلمات التعريف هذه حتى اعتلى بطرس المنبر الحجري . وقد بدت عليه امارات اللطف والوقار ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة المحبة مخاطب الجماهير قائلاً : لقد قادني السيد الى هذه المدينة الجبارة لاضع اول لبنة في هذه الكنيسة التي نؤسسها الآن على تلة القاتيكان . واني بالنيابة عن سيدي اقدر لكم هذا الاخلاص والولاء فقد آمنتكم به بالرغم من انكم لم تروه او تسمعوا صوته ...

وانه لمن دواعي سروري اني رأيت رب المجد بام عيني وسمعت صوته

بأذني . فقد دعاني - انا صياد السمك من بحر الجليل - لآكون صياداً للناس ، وتلميذاً له في بناء ملكوت الله . واني اذكر انني فيما كنت اصطاد السمك مع اخوتي ذات يوم اذا بالخط يخوننا والتعب ينتابنا ، والفشل يراود قلوبنا . وجأة ظهر لنا المسيح الذي اخذ يرنو الينا بعينه الرحيمتين ، ويدعوني انا واخي لنكون من رسله واعوانه . عندئذ طار قلبي فرحاً لان السيد شرفني لآكون تلميذاً له .

وطلب منا معلمنا الاكبر ان يدخل قاربنا ليعلم الجماهير الذين التفوا حوله . فاخذ يحدّثهم عن ملكوت الله ، وتساقط الكلام من فمه العذب كالدرر ، فادرّكت انه هو المسيح ابن الله الحي . ثم طلب مني ان ألقي شبكتي في الاعماق . وفي وقت قصير امتلأت شبكتي بالصيد الوفير . وسمّته يقول لي : سوف تكون يا بطرس صياداً للنفس ...

وسرعان ما استدعى السيد له المجد نفراً من الجليليين ليكونوا تلاميذه وحواريه معتمداً عليهم في نشر رسالته . ثم اخذ يتجول في طول البلاد وعرضها يدعو الناس الى ملكوت الله . وقد اعطى الجياع طعاماً ، وسقى العطاشى من ماء الحياة ... انه شفى المرضى واقام الموتى وطهر البصر ، وصنع العجايب العظيمة ، موجداً للياسين املاً جديداً ، ومقدماً للتعالي سلاماً داخلياً .

وفي النهاية شاهدت اعداءه يسوقونه الى مكان يدعى الجلجثة . وبعد ان ساموه اقصى صنوف العذاب علقوه على خشبة الصليب . وسمّناه

في غمرة آلامه يصرخ الى ابيه السماوي قائلاً : يا ابيه اغفر لهم لانهم
لا يعلمون ماذا يفعلون ... وهل في وسع احد ان يتفوه بمثل هذه
الكلمات سوى ابن الله ...

وارغب ان احدثكم عن اجتماعنا في العلية بعد ان توارى السيد
عناً . فقد اكتنفنا الحزن ساعة شعرنا انه تركنا وحيدين ولكن حدث
فجأة ان امتلأ المكان بالنور ووقف المسيح الذي قام من الاموات في
وسطنا وهالة من الضياء تكمل هامته . وشاهدنا يديه المثقوبتين ولسنا
جنبه المجروح ، فتحققنا انه هو المسيح قاهر الموت والمتصر على
قوات الجحيم .

واني اذكر وصاياہ لنا ، وطلبه منا ان نركز بالانجيل للخلیقة
كلها ... ولن انسى كلماته العذبة التي تساقطت من فمه الطاهر وهو
يخاطب الجموع في عظمته على الجبل . واستحووا لي ان اعيد هذه الدرر
الغالية على مسامعكم . قال له المجد :

طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات .

طوبى للحراني لانهم يتعززون .

طوبى للودعا . لانهم يرثون الارض .

طوبى للجياع والعطاش الى البر لانهم يشبعون .

طوبى للرحماء لانهم يرحمون .

طوبى للانقياء القلب لانهم يعاينون الله .

طوبى لصانعي السلام لانهم ابنا. الله يدعون .
طوبى للطرودين من اجل البر لان لهم ملكوت السماوات .

وبعد ان اعاد بطرس على مسامع الجموع عدداً من تعاليم المسيح السامية رفع يمينه وباركهم طالباً منهم الثبات في ايمانهم ، والتطلع الى نور العالم كينبوع لرجائهم . وامتلاّت قلوب هؤلاء المسيحيين بالفرح والرجاء لان محبة المسيح غمرتهم وملأت شغاف قلوبهم .

وظل هؤلاء يقضون ساعات الليل في جوّ من الصلاة والتسبيح ومبادلة عبارات المحبة والولاء الى ان بانّت خيوط الفجر ، فاخذت تلك الاشباح الملتفة بعباءتها تخرج من اماكن تخفيها ، فتترك المحاجر المهجورة وتدلف الى المدينة لتعود الى مواولة اعمالها الرتيبة في روما العظيمة .

وتأثّر ماركوس من كلمات بطرس ، بالرغم من انه كان يكره اليهود ، ويعتدّ بجنسيته الرومانية ، ويفتخر بانه روماني . اما شيلا فكان يرتجف خوفاً لانه خشي ان يصيبه ضرر ، لانه سمع قول بطرس ان نهاية الاشرار هي الدينونة والهلاك . وفيما هؤلاء المسيحيون يتركون السرايب اخذ ماركوس يتميزهم عساه يصادف ليجيا بينهم . واخيراً توارت تلك الاشباح في ظلال الليل وهم ينشدون ترانيم المديح لسيدهم المسيح .

وفي النهاية اهتدى ماركوس الى ليجيا اذ سمع صوتها الرخيم . وظل يحدّق فيها ليتحقق ان كان هو في يقظة ام في منام . وكانت ليجيا تسير بصحبة مريم التي خباها عندها في احد احياء روما الخفية .

ولاحظ المصارع اورسيوس ان هؤلاء الاشخاص الثلاثة يراقبون حركاتهم
وسكناتهم ، فشك فيهم وارتاب في وقتهم لاسيا وان المسيحيين كانوا
قد اقاموه عليهم حارساً ورقيباً .

واقترب على الاثر اورسيوس منهم ، آمراً اياهم ان يظلوا في
اماكنهم ولا يتقدموا خطوة واحدة الى الامام . فاستل ماركوس خنجره
وهجم عليه فما كان من اورسيوس الجبار الا ان القى كريتون ارضاً ،
وجرح ماركوس واسال دماء . وعندما شاهد شيلو ما حل برفيقه
لاذ باذيال الفرار .

واغمي على ماركوس من شدة الزيف . وعندما عاد اليه اورسيوس
عرف انه صديق ليجيا . فلحال حمله برفق الى بيت مريم حيث هبت
ليجيا لخدمته وتضميد جراحه والعناية به .



الفصل التاسع



ليجيا نعى بمرريض ماركوس

وعندما افاق ماركوس من غيبوبته كانت ليجيا اول شخص وقعت عليه ابصاره . فشاهدا تقف على مقربة منه تمسك باسفنجة وتنظف له جرحه . وكان اورسيوس يقف قريباً منها وعلى استعداد لمساعدتها ولاستجابة اوامرها ...

وجلس نزارديوس في ركن من الغرفة ، يستعيد بذاكرته حوادث الليلة المنصرمة ، متذكراً بعض الكلمات المنعشة التي تفوه بها كل من الرسولين بولس وبطرس . وشاهدته امه مريم ، والاعياء باد على وجهه من كثرة السهر ، فطلبت اليه ان يذهب الى سريره ويرتاح قليلاً ...

اما ليجيا فظلت تترض ماركوس وتسهر على راحته . وكانت الدموع تسكب من مآقيها ، ولما سكنت آلام القائد استسلم الى نوم عميق . وعندما افاق شعر بتحسن كبير يطرأ عليه . واستغرب وجوده في ذلك المكان . وشاهد بؤته العسكرية موضوعة على الكرسي بالقرب منه ، وعندما حاول ان ينهض ليلبسها شعر بان ذراعه تؤلمه ، وجرحاً في جسمه يضايقه ...

وبصعوبة استطاع ان يمشي الى الشرفة ، وان يطل منها الى اسفل
فبان لونه شاحباً ووجهه مضطرباً . وحالما شاهده ليجيا صعدت اليه
تؤنسه وتخدمه . كما انها طلبت منه ان يسمح لاورسيوس ان يثمل
بين يديه .

- قال ماركوس : وماذا يريد هذا المصارع مني ؟ !

- ودنا اورسيوس منه وتطلع اليه بعينين دامعتين وقال : اني
ارغب ان استميتك العفو ايها القائد العظيم . فاصفح عما بدر مني !
- ودعت ليجيا استرحامه بقولها : اغفر له اسأته يا عزيزي
ماركوس !

- وبعد فترة صمت قصيرة قال ماركوس : كان الافضل لهذا
العلاق ان يقضي عليّ ... واني لاعجب من هذا التناقض الغريب عندكم
ايها المسيحيون فبعد ان اسال هذا دماي اراه الآن يتعاون معك على تضديد
جرحي ... فانا يا ليجيا اشعر بانه قد غلب على امري ، وأسقط في
يدي . واني سوف اترك لك ملء الحرية لتتصرفي كيفما شئت . قال
هذا وتوجه الى الباب قاصداً مغادرة المكان ...

وحلقته ليجيا مشبعة اياه بنظرات خريضة وهي تقول : انت تعرف
يا ماركوس انني لا اكرهك . وانتعشت روحه لهذا التصريح وعاد
يتلفت اليها ، فاذا هي تقف ذراعيها اليه وتقول يا ماركوس الحبيب ...
فهمت قائلاً : يا منية روحي وبهجة حياتي ، انك منتهى سعادتي وهذه

اول مكافأة انالها منك بعد ان خرجت من اجتماعكم وُجِرت على يد حارسكم .

واستغربت ليجيا ان تسمع منه بانه كان حاضراً اجتماعهم . فاكد لها انه انما جاء لكي يطلب يدها ، ويرتبط واياها في الزواج . وعلى الاثر خاطبها قائلاً : تعالي يا عروس احلامي ، واهجري هذا المكان القابض ، وراقيني الى آتيوم لاجعل زواجي بك يوماً مشهوداً ، ومن ابرز الاحداث .

- والتفتت ليجيا الى الصليب الحشي المعلق على جدار الغرفة وقالت : عما قريب يزورنا بولس الرسول ، وصديقنا الامين ، وعندذاك اطلمه على استعدادي ومواقفي للزواج بك .

اجابها ماركوس : اما كفأك ما سمعته من فم هذين الشيخين في ذلك الاجتماع ؟ !

- اجابته وهي تقترب من الصليب : لا بد ان تكون انت ايضاً قد سمعت تلك المواعظ الحكيمة والدرر النفيسة من فمها - مما سيجعلك تستفيق الى الامور الازلية الخالدة !

- وتطلع ماركوس الى الصليب وتساءل قائلاً : هل هذا هو رمز مسيحكم ؟ !

- اجابت : اجل هو رمز للصليب الذي علق عليه قاديننا ومخلصنا .

- ثم قال : ان كان وجود الصليب يضمن لك السعادة فانا على

استعداد ان اضع لك صلياً كبيراً في بستاننا الجميل في صقلية ، كما انني اعدك بان اقيم لك تمثالاً رخامياً للمسيح في ساحة دارنا ... وما عليك الا ان تستوضحني ذلك الصياد الجليلي الذي رافق المسيح ان يعطيك بعض اوصافه ليتسنى للنحات ان ينقش لنا تمثالاً للمسيح جامعاً لتلك الاوصاف ...

وخشيت ليجيا ان يكون ماركوس هازلاً فطلبت منه ان يأخذ المسألة بعين الجسد . فاجابها : أليس هناك عدد كبير للآلهة عندنا ؟ ! أفنضيق عن ايجاد مكان لواحد زيادة عنهم ... !

- قالت ليجيا : لا تهمني المظاهر الخارجية يا ماركوس . فهذه التماثيل لا تحددني ... انما صلاقي بان تكون روح المسيح قد لمست نفسك ، ورسالته قد وصلت الى اعماق قلبك ، وحركت الجذور فيك . - اجاب ماركوس : لا تجزعي يا ليجيا قلبي وقف لك ، ولا مكان لاحد فيه سواك ...

- وتقدمت ليجيا منه وامرت يدها الناعمة على جبينه وقالت برقة وبلطف : بل اجعل يا ماركوس مكاناً للمسيح في قلبك لاني انما احمل حبه في قلبي .

- ولم يستطع ماركوس ان يتصور احداً يشاركه قلب ليجيا لذلك قال : اطردني هذا الاله من قلبك ! اني اريد قلبك ان يكون لي ووقفاً علي وحدي ... !

- وظهر فجأة الرسول بولس بالباب وانعكست ابتسامة عريضة على شفتيه وقال : يسرني ان اراك يا ماركوس متعافياً ...

- وتقدمت ليجيا من بولس وقالت : لقد طلب ماركوس مني ان اكون له زوجة شرعية وقد قبلت ذلك ، انما ارغب منه قبل ان ترتبط بهذا الزواج ان يفهم ان في الحياة قيماً غير ما زناه في عالمنا الفاني ، ومقاييس ارفع من هذه المقاييس الارضية الزائفة الزائلة .

- قال ماركوس : لقد عرضت عليها ان اقيم لها تمثالاً للمسيح في حديقة دارنا ، وان اسمح لها بان تضع رموزه اينما شاءت ... فماذا تروم هي مني اكثر من ذلك ؟ !

- اجاب بولس : هذه مظاهر خارجية لا تمت بصلة وثيقة الى معرفة المسيح الحي الحقيقي . وقد يحتاج المرء الى وقت طويل ليدرك الامور الجوهرية والخالدة في الحياة .

- وتساءل ماركوس مستغرباً : ولكن ماذا تريدون مني اكثر من ذلك ؟ !

- اجابه بولس : لا بد ان يكون لديك العدد الكبير من العبيد اسوة بباقي النبلاء الرومانيين . فمسيحنا يجب ان يرى واحداً عبداً لآخر لاننا كلنا في المسيح واحد .

- وسأل ماركوس : وهل تريدون مني ان اطلق سراح عبيدي

ولماذا تبغون ذلك ما داموا هم ملكي الخاص وما دمت قد دفعت
عنهم من مالي ؟ !

- اجاب بولس : يرتكز ايماننا المسيحي على محبة الله لنا ومحبتنا
لاخوتنا بني الانسان ، وهكذا فهذه المحبة تحذر علينا استرقاق الناس
وتشجب فكرة استعبادهم .

- وبقه ماركوس وقال : حقاً لقد سمعت زميلكم بطرس
يتكلم عن هذه المحبة . ولكن كيف يتسنى لي ان احب هؤلاء
الذين يحاربون امبراطوريتنا .. ؟ ! اتريدون مني ان احب البارثيين
والفرس والبرابرة الذين يناصبوننا العداوة ؟ ! وكيف احب من يتسنى
ان يغرس حربته في قلب كل مواطن روماني من ابنا بلادي ؟ !

- اجابه بولس بهدوء ووقار : ولكن هل فكرت ايها القائد
العظيم ان تخضع هؤلاء الاعداء اليك بقوة المحبة عوضاً عن اخضاعهم
عن طريق السيف ؟ !

- وسأل ماركوس : وهل في وسعك ان تخضع قطعياً من الذناب
بريشة طائر ؟ ! يظهر لي ان الاله الذي تعبدونه هو اله غريب عجيب
فهو كما يبدو لي يعطف على الضعفاء والمنبوذين ويناصر جماعات
البرابرة والعييد ؟ !

- ووصل ماركوس الى درجة عيل فيها صبره فنادى ليجيا وقال :
تعال لي لتكوني زوجة القائد الروماني فينسيوس ماركوس ... يكتفيك

ذلك ... وما اريدك ان تكوني عبدة لذلك الجليلي المصلوب ...

- فانتفضت ليجيا انتفاضة المسوع وقالت : ارجوك يا ماركوس ان
تقدر لي ايماني ... فانا اتردد في قبولك زوجاً ما دمت تسخر من الهي
الذي اعبده .

- وتحركت روح الكهياه في صدر ماركوس فقال : اتعنين
يا ليجيا انك تودين ان تختاري بين المسيح وبينى ... فانا لا اود ان
اشاركك ايمانك بهذا الاله .

- وتقدم بولس ووضع يده برفق على كتفه وقال : مهما تكن
محبتك لليجيا عظيمة فهي لا تفوق محبتنا للمسيح ...

- وامتعض ماركوس من كلام هذا المرشد وقال له : كفاك
تسيماً لعلاقتنا ...

- ورنرت ليجيا اليه والدموع تسيل من مآقيها وقالت : انا للمسيح
قبل ان اكون لك يا ماركوس .

*

وكان ماركوس اخذ يستفيق الى هذه الجراح الجسدية والنفسانية
التي احابته عن يد هؤلاء المسيحيين . فقرر ان يتركهم وان يروح
مكانهم . وقبل ان يصل الى الباب التفت الى بولس وقال : اعلم
انه اذا احاب امپراطوريتنا مكروه من جوار تعاليمك هذه فالسيف
سيسلط على رقاب المسيحيين قاطبة . وتناول الصليب الحشبي عن

الحائط وحطمه ثم تابع سيره متوارياً عن الانظار .

وهرعت ليجيا الى الصليب تلتقط حطامه ، وتذرف الدموع على هذه الحالة الراهنة . وتقدم بولس ليغريها فقال : لقد اختبر سيدنا تجارب اعنف من هذه ولكنه خرج منها منتصراً . فاثبتى يا ليجيا في ايمانك واعتصمي بسيدك ، وتأكدي ان النصر يكون لك في النهاية ...



الفصل العاشر



نيرون ينقل قصره الى اتيوم

ترك ماركوس ليچيا وهو مصمم ان يقطع علاقاته معها . وغدا
شاحب اللون من فرط ما تعرّض اليه من اضطراب وقلق وتزف دماء .
وظل يفكر بليچيا التي بقيت متمسكة بايمانها ، وثابتة على مبادئها ،
رغم جميع المغريات التي عرضها عليها . وعزم عندذاك ان يقصد فيلا
بترونيوس عساه يستمتع عند خاله ببعض الراحة ، ويخفف عنه وطء هذه
الصدمات .

وكان بترونيوس قد ترك بيته في عهدة الخدام اذ قصد اتيوم اسوة
بباقي النبلاء الذين تزحوا اليها محاكاة ومجارة لامبراطورهم . وكان
بترونيوس قد كتب لماركوس رسالة طلب من الخدام ان يطلعوه عليها
حال قدومه الى المنزل وقد جاء فيها :

انك ان لم تجدني يا ماركوس في مسكني فسوف تلقاني في اتيوم لان كثيراً
من النبلاء تزحوا اليها . وها هو نيرون قد جلب معه ما يزيد عن عشرة آلاف
خادم الى هناك ، وكذلك استحضرت الامبراطورة زوجته ما ينوف عن الخمسمائة
خجارة لتستعمل حليها عند الاستحمام .

واعلم ان دور الملاهي كثيرة في اتيوم ، والممثلون كثيرون ايضاً هنها .

وسألت احد الممثلين وكان من اليهود ان كان ثمة فرق بينهم وبين المسيحيين اجاب ان هؤلاء فرقة جديدة ظهرت في احضان اليهودية ، واتباعها يؤمنون بشخص وُلد في زمن اوغسطس قيصر وصلب على عهد ييلاطس البنطي ايام الامبراطور طياريوس . ويرفض هؤلاء المسيحيون الاعتراف بألهة اخرى غير ابيهم السماوي .

واخذت لاحظ مؤخرًا ان نيجليوس اصبح مقربًا من نيرون بحيث غدا ينال حظوة في عينه اكثر مني . واني اخشى ان يكون هذا قد بدأ يحوك مؤامرة ضدي ، فما نعمت حتى يقلب نيرون عليّ . لذلك تراني استسلم للممرات ، واصرف وقتي بالملاهي . . . واسمح لي في الختام ان اقل غمياي الى حبيبتي المسيحية ليجيا ناصحًا اياك الا تدعها تكون سكة لك . . .

هذا بعض ما جاء في الرسالة التي تركها بترونيوس لابن اخته ، وكان بترونيوس قد عهد الى الخدام امر العناية بماركوس ، وكلفهم عند مجيئه ان ينقلوه في عربيته الخاصة الى انتيوم . وبعد ان استراح ماركوس قليلاً ، اخذ يستعد للذهاب الى انتيوم . وعندما اطل عليها تراءى له قصر نيرون المرمرى المشرف على مياه البحر المتوسط . وكان بترونيوس قد اقام بالقرب من القصر الامبراطوري ليكون على مقربة من الامبراطور .

وشاهد ماركوس الحرس البريتوري يملأون الطرقات ويحيطون بقصر نيرون من كل ناحية . وعندما وصل الى مكان خاله سلم مقود المركبة الى احد الخدام وسار يسعى للاجتماع به . فوجده في انتظاره يجلس مع جاريته يونيس مقطعاً الوقت ببعض التسلية البريئة .

اما نيرون فكان قد نقل قصره من روما الى انتيوم . واخذ في قصره الجديد يلاحظ الناذج التي وضعها له احد المهندسين عن روما الجديدة ... وكان يقضي بعض الساعات من النهار متأملاً في تلك الناذج والعينات . وكثيراً ما كان يخاطب نفسه قائلاً : سوف انشيء حداثق غناء في هذا المكان الذي فيه يرعى الماعز وتسرح الحرفان . وسوف اقيم الابنية الضخمة على سفوح جبل البلاتين مكان هذه الاصطبلات التي تنبعث منها الروائح الكريهة .

وكان المهندس فيون على مقربة من نيرون ، يشير البهجة في قلبه عندما يقول له : اننا تسمى لرغباتك سنملاً الاماكن الخربة بالحدائق الغناء ، وتزولاً على اوامرك سوف تزينها بالثيلات الجميلة ايها الاله ... !

وكان نيرون يلتفت دوماً الى مهندسه ويقول : احسنت اذ استطعت ان تجسم افكاري في هذه الرسوم والتصاميم . اننا عما قريب سنحقق هذه الفكرة ونبرزها الى حيز الوجود ... فاني ارغب ان اشيد مدينة جديدة تليق بان تكون عاصمة لهذه الامبراطورية الشاسعة ... وان اسمح للعامة ان يدخلوها الا في بعض المناسبات الخاصة .

وقطعت عليهما جبل هذه الحداثق عندذاك بعض الجوارى الحاملات اطباق الخاوى وبعض المنعشات اذ دخان بصجة اكتي ليقدمن للامبراطور بعض الطعام . بيد انه ضرب بالاطباق ارضاً وصرخ في وجه اولئك اللواتي عكرن عليه جو تأملاته وصفو محادثاته . فخرجن هارعات سوى اكتي التي ظلت تتطلع باستغراب الى الامبراطور .

ورانت منه التفاتة اليها فقال لها : ولماذا ترعيني بنظراتك
يا اكني ؟ !

- اجابت : لكي تظل تذكرني في هذه المدينة الجديدة !

- وسألها : ولم تريدني ان اذكرك ؟ !

- اجابت : لاني احبك اكثر من اي شخص آخر !

- قال : لكي أمرك ان لا تحبيني - فانت شوكة في
جسمي ، والافضل لي ان اقلعك . وسوف اعمل على نفيك من
هذه المدينة .

- قالت : اني رهين اشارتك ... ولكن تأكد يا نيرون انك
اذا ما احتجت الي في احد الايام ، فاني آتيك على جناح البوق واكون
لك من اخلص الاعوان .

وخرجت اكني من القاعة تاركة نيرون ينفرد ثانية مع مهندس
وما اسرع ما قال له : لقد خلقت النار للتطهير ، وسوف تبرز روما
الجديدة من وسط السنة الالهيبة المندلعة ، وفوق تلك الركام
المحترقة ...

ورغب نيرون ان يعرض هذه النماذج على بترونيوس فتوجه الى
سرادقه فوجده يجلس مع ماركوس يلعب واياه الشطرنج . فاصغى الى
ما كان يدور بينهما من احاديث فاذا بترونيوس يقول : حالما يعود
تيجليوس فسأدعه صجة سنكا وغيره من الشخصيات البارزة لتبادل
واياهم الرأي في بعض المشكلات ... واني عازم ان اطلعهم على هذا

المشروع العظيم الذي انوي تنفيذه .

وقلقت نيرون من هذه العبارات التي سمعها فعاد ادراجها دون ان يجعل احداً يشعر به . وكان ماركوس مستغرقاً مع خاله في لعبة الشطرنج لذلك فلم ينتبها له . وبجأة دخل احد الحراس مستديماً ماركوس للشول امام الامبراطورة . فلم يجد ماركوس مفراً من الذهاب ومقابلة بوبايا .

اما بترونيوس فظل يتحدث الى جاريته يونيس وقال لها : اني اشعر بنسيم ثقيل يهب عليّ من جهة الامبراطور . فانه في الآونة الاخيرة بدأ يتجنبني وأراه الآن منصرفاً الى اعداد مشروع جديد يستهدف فيه الى نفس روما وتدميرها ...

ودخل ماركوس الى غرفة الامبراطورة . فاذا هي متكئة على الطنافس المخملية . فاستقبلته بقولها : يخال لي ان في مشيتك بعض الزهو والخيلاء ...

- قال : انما جئت مسرعاً لالبي طلبك .

- قالت : كل ما اصبو اليه هو ان استطع ان اتغلب عليك يا ماركوس .

- اجاب : يظهر لي انك تودين ان تمثلي دور العنكبوت الذي يأكل زوجته عندما يقضي حاجته منها .

- وسألته : اصحيح انك راغب في الذهاب الى صقلية وعازم على ترك روما ؟ !

- اجاب : اجل لقد اشتقت الى موطني بعد ان هجرته مدة تزيد عن الثلاث سنوات .

- وسألته ايضاً : أصبح ايها القائد ان الرهينة المسيحية التي نالت حظوة في عينيك قد اختفت وما اهدتيت اليها او عرفت مكانها . فقد نقل الي عيوني المنبشون في كل مكان انباء اختفاء ليجيا .

- قال ماركوس : اني اعتبر نفسي من الحمقى لتعلقي بها ...

- وعلقت پوپايا على ذلك بقولها : وانا بدوري تأثرت كثيراً منك عندما تركت قاعة الوليمة على ذلك الشكل المفاجيء . ومنذ ذلك الوقت وانا افكر بطريقة انتقم منك على ذلك !

- وسألها : وما الذي حال دون الانتقام مني ؟ !

- اجابت : وجدت انه من الحق قتل من نكره ، لان الموت ينهي عذاباتهم ، ولا نعود نوجد متسماً للتشفي منهم ، والتلذذ برويتهم يتألمون ويتعذبون . وانا قد كرهتك يا ماركوس لتعلقك باذيال تلك الفتاة المسيحية ... وهنا اقتربت منه محاولة ان تزيل بصدرها عليه عليها تشير فيه شهوة جاحدة ، او عاطفة مكبوتة فتنسيه ليجيا وتوقعه في حبائل حبها ...

الفصل الحادي عشر



مشهد اميران روما

وظل نبيون يذرع ارض غرفته وهو يتأمل في الناذج الموضوعه امامه . وجأة صرخ مستدياً مستشاره بترونيوس . فخر هذا وابتناسمة مقعلة تعاو شفتيه . وحالما شاهده الامبراطور هتف قائلاً :
لقد كنت على احر من الجمر لاراك ... وان كنت تلاحظني في الآونة
الاخيرة مبتعداً عنك فما ذلك الا لاني كنت منهكاً في اعداد مشروع
فني عظيم سوف افاجئك به عما قريب . فانا عندما ابدأ بالانشاد والترتيل
تترأى لي رؤى وتصورات لا يحلم بها انسان ...

اجل تفتح الموسيقى امامي ابواب عوالم جديدة ، وتريني آفاقاً
واسعة ، أحمل بفعلها الى عالم سحري عجيب ، واشعر فيه بنسيم منعش
يهب علي من وراء هذا العالم ، فيجعلني انا الاله ادرك اني لست
الا هباءً وغباراً ...

وكان بعض الندماء يصغون الى هذا الحديث ، وعندما وصل
الى ذكر الغبار قاطعه احدثهم بقوله : تأكد ايها الاله اننا لا نؤمن
الا بك ...

- والتفت نيرون الى بترونيوس وسأله : وماذا تقول ايها المستشار

في هذا ؟ !

- اجاب : لا شك ان الفنان العظيم يستطيع ان يتحسس مثل هذا الجمال ، وان يتلمس مثل هذه الرؤى العظيمة .

- وقال نيرون : سوف اكون صريحاً معكم . فانا اعرف فريقاً من الناس في روما ينظرون اليّ كطاغية ، ويكيلون لي اللوم لقتلي والدي وزوجتي ولكن ليعلم هؤلاء انه كثيراً ما لا تدل اعمال الانسان القاسية على حقيقته .

فانا في الاوقات التي اشعر بها بسحر الموسيقى وعذوبتها اغدو لطيفاً مثل الحمل ، ووديعاً كالحمام ، فأتوق في تلك اللحظات الساحرة ان اتغير عن باقي الناس سواء في عمل الخير او في عمل الشر . هذا هو الفنان العظيم وهذا هو سرّ عظيمته ... فانا كفنان اشعر بانني اعظم من اي انسان في هذا الوجود ... !

لقد اخبرتني يا بترونيوس ان انشودتي عن حريق طروادة لم تكن بالانشودة العظيمة ، او بالقطعة الفنية الرائعة فانت على صواب فيما قلت ، لان النحات عندما ينقش تمثلاً لاحد الآلهة لا بد له ان يسعى اولاً للحصول على بعض الناذج ! وكيف تنتظر مني الخلق والابداع وقد حرمت من نموذج يريني مدينة تحترق امامي ... ولما كنت قد حرمت مثل هذا النموذج فلا بدّ للفن ان يبتذل ويسفل ...

- اجابه المستشار : حقاً ايها الامبراطور فلولا تلك الحروب التي

اندلعت في طراودة واحترق تلك المدينة العظيمة لما استطاع الشاعر
هوميروس ان يكتب الياذته الخالدة .

- فبرز نيرون رأسه علامة الاستحسان وقال : اننا في سبيل الفن
وجب ان نضحى بكل شيء... واعتقد ان فيني لن يتكامل الا عندما
اشاهد هذه المدينة العظيمة تحترق على مرأى مني ...

واضطرب بترونيوس عندما ادرك ان نية نيرون تتجه الى اشعال
النار في مدينة روما . فارواء لتعطشه الفني المزعوم سيقدم هذا الطاغية
على احراق عاصمة البلاد... وللحال اخذت تساوره الظنون والشكوك
وقال في نفسه : اليس جريمة احراق هذه المدينة الجبارة ارضاء لشهوات
هذا الرجل المتقلب الالهواء ، والشاذ الطباع ... ؟ !

اما نيرون فازاح الستار عن نموذج المدينة الجديدة التي اعدّها له
مهندساه . وهتف باعلى صوته : هذه ايها الرومانيون عاصمتكم الجديدة
التي ستبرز الى الوجود بعد حرق هذه المدينة القذرة . ولسوف تكون
آية في الحسن والجمال ، ولسوف ادعوها نيروبوليس - اي مدينة
نيرون ...

والقف حوله ندماؤه وحاشيته ، وهتف الجميع - ليحيا نيرون ... !
ولتحيا نيروبوليس ... ! وصرخ احدهم : ان اعمالك يا نيرون قد
فاقت اعمال قيصر - وهما نحن نشهد بان لا شيء يماثل هذه المدينة
الجديدة ...

اما بترونيوس فلم يشاركهم في هذا ، لانه كان مستغرقاً في تفكيره

العميق . وقطع عليه جبل تأملاته دخول تيجليوس وهو مغفر بالغبار ، وعلامات
التعب والاعياء بادية على وجهه . واخذ يعالي بصوته قائلاً : انظروا ايها
الجموع الى روما وهي تحترق . فها هي مدينتكم اصبحت شعلة
من النار ... !

وارسل بترونيوس زفرة عميقة وقال : هل هذا هو مصير روما التي
حمدت على ممر الاجيال ؟ ! وهل هذا هو ما انتهت اليه عاصمة الدنيا
وسيدة العالم ؟ !

واصابت نيران نشوة عاروة ، وكأن ربة الشعر والفن هبطت
عليه ، فدعته الى تناول قيثارته . وللحال صعد الى السطح واخذ يتأمل
في المدينة الملهبة ، المرسله السنة من النيران ، وسجناً من الدخان الى
السما . وعلى الاثر اخذ يوقع الاغان وينشد ويغني .

وهتف وقال : الآن يستقيم وحيي ويتسنى لي ان انظم اروع القصائد ،
وانشد اشجى الاغان . اذ توفرت لدي مادة استمد الوحي منها ...
فاركبوا ايها الاعوان عرباتكم ، ورافقوني لتشهد المدينة المحترقة عن
كثب . تعالوا لنشهد النار التي بها تحتفل بجنائز عاصمة الدنيا ...

وخرج الحراس والضباط ليرافقوا نيعون ، اما ماركوس فالتفت الى
تيجليوس وسأله قائلاً : وهل كل المدينة تحترق ؟ ! اجاب رئيس
الحراس : المدينة بأسرها شعلة من النار ما عدا جهة البلاطين والفورم
والكولوسيوم . فهذه الاماكن في مأمن من السنة النيران .

ولللحال اتجه تفكير ماركوس الى ليجيا ، وعلى اثر سماعه هذه

الأنباء المزعجة خفت الى عريته ، وبدأ يلهب ظهور جيادها بسوطه ليتسنى له الوصول الى الحي الذي تسكنه ليحيا قبل ان يصبح طعمة للنيران . وشاهدته الامبراطورة يسابق الريح في عدوه فادركت الى اين هو متوجه ... فارسلت بعض الحراس ليقفوا اثاره ويستدعوه اليها . غير ان ماركوس لم يلتفت الى الذين تعقبوه بل بقي يواصل سيره الى قلب المدينة ، وهو يستمع الى الصراخ والويل ، والاصوات المتعالية من كل مكان والمدينة : روما تحترق - روما تحترق ...

وكانت السماء مغطاة باعمدة من السحب ، ونباح الكلاب يلا كل مكان ، وسنابك الخيل تتجلجل على الطرقات والارصفة ، والجدران تتداعى ، والبيوت تنهار امام السنة النيران المتأججة . وخشي ماركوس وهو يرى هذه المشاهد الاليمة ان يكون قد سبق السيف القتل ، وان تكون ليحيا قد هلكت ، فلا يصل المدينة الا والاحياء اكوام من الرماد والسكان في عداد الاموات .

وشاهد في الضواحي جماعات من القرويين يقتربون من الاماكن المحترقة بغية تخليص بعض المقتنيات . وسمع الناس يطلبون من الآلهة ان ترفع عنهم هذه الكارثة وتنقذ عاصمة بلادهم من الفناء والدمار . وكان ماركوس عندذاك قد وصل الى تلة قريبة من الاحياء المأهولة فاحس بالدخان يلا انفه ، والهواء الساخن يلفح وجهه . وشاهد من اعلى التلة المدينة الجبارة وهي تتداعى وتحترق ، موارية الاشجار والبنائات والقيلات وسط سحب من الدخان . ولم يكن ثمة سبيل الى النجاة من هذه النيران المندلعة سوى بالالتجاء الى نهر التيبر .

وسار ماركوس في طريق ابيان التاريخية - تلك الطريق التي
 سلكها قبل بضعة اسابيع في موكب نصرته . ونشاهدها الآن تعج
 بالعربات والمركبات ، وتقص بالجمهير الهائلة على وجوها ، والهاربة من
 وجه ألسنة النيران المحرقة . وعرفه سكان تلك الاحياء من ملابسه
 وتميزوه وتحققوا فيه احد قواد نيرون الطاغية . وما عم ان اشتدت
 الهتافات العدائية ، وتعالت الاصوات الداعية بسقوط نيرون ، وطرقت
 مسامعه اقوال مثل هذه : الويل لنيرون - الموت لمن سبب حرق
 روما !

وخشي ماركوس ان تمتد اليه ايدي الغوغاء ، فاستل سيفه ، ولفّ
 رداءه حوله ، وسار فوق الحجارة والركام متوقفاً النار والدخان ، وعربات
 الغوغاء ودوابهم . وظلّ يعدو مقلّشاً عن بيت مريم لانه كان يعرف ان
 ليجيا تقيم فيه . فقد تركها في ذلك البيت ساعة نفر منها ، وأهان
 شعار ايمانها . وكان كله آمالاً بان يجدها في ذلك البيت المتواضع
 فيساعدها على النجاة من الخطر المداهم ، وألسنة النار المحرقة ...

الفصل الثاني عشر



ماركوس يخف لجنحة ليجيا

واندلعت السنة النيران في كل مكان . واحتشدت الجماهير في الطرقات ، وسدت الحجارة والركام المسالك والمفاوز والشعاب ، وكنت ترى الناس يسرون في اتجاه نهر التيبر ، حاملين امتعتهم على ظهورهم ، ويقودون اولادهم بايديهم . وانطلق ماركوس يفتش عن بيت مريم ، عساه يجد فيه حبيبته ، فيعمل على مساعدتها ، واخراجها من مأزقها . وكان بيت مريم يقع في آخر منعطف من ذلك الحي ، وعندما وصله وجدته كومة من الحطام والرماد .

وتلق ماركوس ان يجد ليجيا فناداها باسمها ولكنه لم يجد سوى رجل عجوز يجلس فوق تلك الركام ، فسأله عن اهل ذلك الحي ، وعن مريم ، وعن ليجيا ، وعن سكان تلك الدار ؟ ! فاجابه العجوز بان الجميع قد هجروا المكان ولاذوا بالفرار طلباً للنجاة . وللحال سار ماركوس في اتجاه نهر التيبر ، لان هذا هو السبيل الذي سلكته الجماهير عندذاك . وعلى طريقه لمح فتحة تتصل بالاقنية المحفورة في جوف الارض ، والمعدة لجري المياه القذرة التي كانت تصب في النهر ، فدخل

القناة وشجع جماعات اللاجئين بان يتبعوا خطواته . وتناول خشبة ملتهبة
اضاء بها ظلمة ذلك المجرى المظلم ، وسرعان ما اخذ يقود الجماعات التي
اقتفت اثاره في ذلك الحندق الارضي . وعندما وصل ضفة التبر اخذ
يساعد النساء والاطفال في الصعود الى سلم الجسر .

وكانت جماهير غفيرة قد خاضت النهر طلباً للنجاة وفراراً من
النيران . وكنت ترى الرجال والنساء ، القتيان والفتيات ، يرفعون
اذرعهم فوق المياه ، ليقوا امتعتهم من الانحراف مع تيار النهر المتدفع .
وكانت النيران على مقربة من الجسر لذلك كنت ترى الجماهير تندفع
الى النهر وتحتشد حول الجسر . وتطال ماركوس بعنقه متفحصاً الموقف
عساه يجد ليجيا بين تلك الجموع . ولشد ما جذب اورسيوس نظره من



مشهد احتراق روما ، واحتشاد الجماهير عند جسر التبر .

فرط طوله ، فادرك لساعته انه لا بد لليجيا ان تكون قرية منه .
واخذ يميز الجماهير المحتشدة الى ان لمح اخيراً ليجيا فناداها . فهبت
اليه ، وعانقته وقالت : كنت اصلي كل الوقت من اجلك ...
وزفرت وتنهدت ، وهي تتمم قائلة : لقد هلكت حبيبتنا مريم وسط
النيران ... وشق تراريوس ، وغص بالبكاء لدى سماعه اسم امه وقال :
لقد هوى جدار البيت على امي فاودى بجياتها ...

- قال ماركوس : يسرني ان تتاح لي هذه الفرصة لاساعدكم على
النجاة من الاخطار ... ولا بد من قطع الجسر والاجتياز الى الناحية
الثانية لتكونوا في امان من النيران .

- اجابت ليجيا : بيد ان الحرس البريتوري يمنعنا من اجتياز
الجسر . وليس من سبيل الى العودة الى قلب المدينة لان ألسنة النار
ما برحت مشتعلة ...

وعلى الاثر تقدم ماركوس من رأس الجسر ، وطلب من قائد
الحامية ان يفتح له طريقاً ، ويسمح للجماهير بان تجتاز الجسر ، الا ان
القائد قنع وقال : ان الاوامر التي صدرت اليه هي للحؤول دون اجتياز
الجماهير الجسر ، ودخولهم منطقة البلاطين . وغضب ماركوس من هذا
التدبير وخطب قائد الحامية قائلاً : بصفتي قائد الفيلق الرابع عشر
امرك ان تسمح لهؤلاء النازحين باجتياز الجسر ... واستل سيفه واخذ
يشهره في وجه كل من يحاول اعتراض سبيله .

وتقدمت الجماهير لاجتياز الجسر بعد ان رأت ماركوس يفتح لها

الطريق . وكان اورسيوس يعترم ان يوصل ليجيا الى بيت بلوتيسوس .
وفرح عندما شاهد ماركوس يساعده في ايجاد سبيل لها للنجاة ، وشعر
بان حملاً ثقيلاً قد ازيل عن كاهله . واخذت الاشاعات تثقل من فم الى
آخر ، بان جوبتر هو الذي عمل على حرق روما وازالتها من الوجود .
ولذلك احتشدت الجماهير في ساحات الهياكل ، وملأت قاعاتها
طالبين الرحمة من الآلهة لترفع عنهم هذه الكارثة .

وراجت اشاعات اخرى بان نيرون هو الذي دبر حرق روما ،
ليتخلص من الروائح النتنة التي كانت تنبعث من بعض احيائها الوضيعة ،
وانه هو الذي اصدر اوامره الى الحرس البريتوري بان يقتكوا بالسكان
النازحين للتخلص من مشكلة ايوائهم .

*

وما اسرع ما امتدت النيران الى كل مكان مندفعة من
المرتفعات ملتهمة كل ما يعترض طريقها من مخازن وبنيات ، ومسارح
وامفيثيترات ... ووفدت بعض الغوغاء من الضواحي الى المدينة بقصد
السلب والنهب . وحملت الرياح الاخشاب والمواد الملتهبة وطوّحت بها
في الحقول المجاورة لروما .

وغدت فكرة انقاذ المدينة عسيرة ، لان النار قد امتدت
واتسعت ، وازداد عدد اللاجئين والنازحين اذ برزت مشكلة جديدة
امام المسؤولين . وتعالّت الاصوات من كل حذب وصوب : روما
تحترق .. روما تحترق .. ! ولم يعد احد ليفرق بين عبد وحر ، وبين

روماني وبربري... ووسط هذا المرح والمرج تصاعدت اصوات شجية ،
وانغام عذبة انطلقت من قلوب المسيحيين . وكنت تسمع في بعض
الامكنة اسم المسيح يردد ويُعظم . والتسابيح والانشيد تشير الى
يوم الدينونة ومجيء الرب العظيم .

وختم الظلام ، الا انه كان ابهى من النهار لان النيران ما برحت
تتأجج ، وألستها ترتفع . وما عمت ان التهمت النيران مخازن القار
التي كانت قرب الامفيثترات والحبال المودعة فيها ، فاحدثت لهيباً
ودوياً ، ترغزت المدينة من هوله . ولم تهدأ ثورة النيران لانها بقيت
تزيد وتتفاقم ، وتهدد وترجرجر ، وكأن القوم باتوا في يوم الدينونة
الرهيـب .

وهرع فريق من المسيحيين الى سراديبهم للالتجاء اليها من هول
تلك الكارثة . وكنت تراهم يحملون المشاعل والمصابيح ، ويرددن
اسم المخلص الفادي ، ويرتلون التسابيح المنعشة . وكان الرسول بطرس
يرافقهم الى تلك الملاحيـة الآمنة ، وكنت تراه يركع واياهم ويصلي
لله ، طالباً رحمته وغفرانه . وعندما عرف المسيحيون ان الرسول في
وسطهم التفوا حوله ، وكأنهم شعروا بقوة عظيمة لوجوده بين ظهرانيهم
فاخذوا يرهفون اسماعهم الى كلماته . فخطبهم قائلاً : لماذا انتم
مضطربون يا اخوتي ؟ ! فكيف تعملون في يوم الدينونة العظيم ؟ !
لقد عاقب الله بابل واحرقها ، ولكن اذكروا ان رحمته ستحل
على اولئك الذين تكرسوا عن طريق المعمودية فاصبحوا اتباعاً

للمسيح . فلا تخافوا ايها المقدسون المفديون لان المسيح قدس حياتكم
وافتداكم بدمه الطاهر الثمين ...

وجاءت كلمات بطرس مطمئنة لقلوبهم ، وباعثة الرجاء في نفوسهم .
وعوضاً من ان يستسلموا للخوف اخذت محبة الله تملأ شغاف قلوبهم
وتتحرك في تموجات افكارهم . وهكذا عاد الرجاء يراود افئدتهم ،
فامتلاوا بروح التعزية والايان ، وشكروا الله الذي يسر لهم هذا
الرسول الامين ليكون بينهم يشاطرهم آلامهم ومصاعبهم ، ويدفي
قلوبهم بكلمات الرجاء والمحبة والايان ، ويشجعهم على الصبر
والثبات والنضال وسط الشدائد والاضطهادات ...



الفصل الثالث عشر



نيرون يرافق اغرياق روما

وأجل نيرون قدومه الى روما حتى كانت النيران قد وصلت
منتهاها . واصطف ١٦ ألف من اعضاء الحرس البهيتوري على جانبي
الطريق ، ليضمنوا للامبراطور سلامة المرور وعدم اقتراب الغوغاء منه .
وسار نيرون برفقة حاشية كبيرة من نبلائه وندمائيه واهل قصره .
وتعالت بين الآن والآخر صرخات عدائية موجهة ضد موكب الامبراطور
بيد انه لم يحسر احد على الاقتراب من ذلك الطاغية او مسه بسوء .

ووقف نيرون على سطح قصره ، وقد غمرته سحابة من الدخان
الكثيف فنادى زوجته ومستشاره ورئيس حرسه ، وتطلع اليهم وسط
النور المنعكس من تلك النيران المتأججة وكأنه شعر بانه في غيبوبة
صوفية ، او نشوة علوية . وخاطب بترونيوس الذي بدا يائساً ومضطرباً
قائلاً : انظر ماذا صنعت يداي !

ثم دعا نيرون تيجليوس ان يناوله رداءه الارجواني وقيثارته
الذهبية . فلبس الرداء ، واخذ القيثارة وبدأ يغرف نشيد النصر ، ويقول :
اخشى ان لا يكون ما اغزفه الان هو ارووع الاخنان !

فشجعه بترونيوس بقوله : ان هذا المشهد خلق لفنك ايها العاهل العظيم ! وتملك العرور قلب نيرون وقال : بورك فيك يا بترونيوس فانت تشجعي ... لا سيما وانت تعرف انه علي ان انافس اولئك الفنانين العباقرة الذين ابدعوا اروع الالحان عند حرق مدينة طروادة .

ورفع نيرون عينيه الى العلاء ، وكانت السماء قد امتلأت باللهيب الاجمر وبألسنة النار . وتطلع الى الافق فاذا هياكل الالهة تتداعى وتصبح اكواماً من الرماد . وكلما زادت النيران اشتعالاً كلما زاد فرح نيرون ، وكثر انشاده واثارت عواطفه . وفيما روما تحترق كان الامبراطور غارقاً في شدوه وغناؤه ومحاولاته لاجراج ابداع الموسيقى واروع الالحان المعبرة عن هذه المأساة المروعة ... !

ولشد ما كره نيرون روما وسكانها ، وهام بغزفه وموسيقاه . وماذا يزوم نيرون اكثر من ان يرى روما تشتعل ، وألسنة اللهيب تتصاعد من مبانيها ؟ ! ويكفي حاكم العالم ان يقف على سطح قصره ليغرف على قيثارته الذهبية نشيداً اقتبسه عن بريام فتسمعه يردد قائلاً : يا مهد ابائي ومواطن اجدادي ...

وسرعان ما حتى ندماءه واعوانه رؤوسهم استحسناناً لغناؤه . وعندما توقف الامبراطور قليلاً عن الشذوذ كان الجوق الملتف حوله يردد كلمات القرار . وكان منظر روما وهي تحترق لم يثر شفقتة بل حرك عاطفته للغناء . اذ فجأة ينقلب مزاجه فتري الدموع تتساقط من مآقيه . فيطرح قيثارته ارضاً ويقف صامتاً مشدوهاً .

وقطعت الغوغاء عليه جبل سكوته اذ كانوا يصرخون طالبين الانتقام ممن سبب لهم هذه الكارثة . وخشي نيرون من الغوغاء فالتفت الى تيجليوس وقال له : هل في وسعي ان اعتمد على جنودك ؟ !

- اجابه تيجليوس : بكل تأكيد ايها الاله !

- وقال بترونيوس مقاطعاً : اعتقد ان الشعب في حاجة الى ترضية سلمية ووسائل للانتقام ...

وكانت الجماهير قد اندفعت في اتجاه القصر وهي تحمل الحجارة وقطع الحديد ، وقد اخترقوا النطاق الذي ضربه الحرس البريتوري للحيلولة دون وصولهم الى القصر . وعندما شاهدهم نيرون صرخ قائلاً : اوقفوا سيول الغوغاء المندفعة .

اجابه بترونيوس : انهم جماهير الشعب مدفوعون بالغريزة ليفروا من النيران ، وينشدوا مواطن الامان !

والتفت نيرون الى تيجليوس مستفسراً عن الحالة ، فطمأنه هذا بان القصر محاط بالحراس ... وكان نيرون يصغي الى الصراخ المتعالي ، والهتافات العدائية ، وخشي البقاء على السطح فقال لحاشيته : الليل بارد والافضل لنا ان ننسحب ... !

ولشد ما وجد الحراس صعوبة كبيرة في ايقاف تيار الغوغاء المندفع ، فقد انهالت الحجارة عليهم ، وكانت الاصوات تدوي : الموت لمن سبب حرق هذه المدينة ! الموت لنيرون الذي اوجد هذه الكارثة !

- وسأل نيرون : ماذا يصرخ هؤلاء ؟ !

- اجابه مستشاره : يظهر انهم اعطوك لقباً جديداً . فانهم ينعنونك بحارق المدينة .

ودخل على الاثر تيجليوس وهو يتزف دماً لانه كان قد اصيب بحجر في وجهه . وقال : لقد طلبنا نجدة قوية واني آمل ان تصل قريباً . وليتك اثناء ذلك تكلم الجماهير ايها الامبراطور مقدماً لهم بعض العروض ، ومسبغاً عليهم بعض الوعود !

- قال نيرون : تكلم انت باسمي ...

- اجاب تيجليوس : سأكلهم بالنار والحديد متى حضرت النجدة .

- واقترب نيرون من بترونيوس وقال : وماذا تشير علي يا مستشاري ؟ ! اراك تقف بعيداً ولا تحرك ساكناً ... انهم ينظرون اليك كصديق لهم فتحدث اليهم وعدهم باننا سنهبهم انهاراً من الزيت والخمر ، واهراء من الحبوب والخطنة .

اجاب بترونيوس : سيأخذ الشعب هذه المآكل بدون اذنك يا نيرون !

- قال : عد هم باننا سنبنى لهم روما الجديدة المزودة بالقصور والملاهي والبحيرات !

- اجاب : هذه الوعود المعسولة لا ترضيهم الان ما دامت سقوف بيوتهم قد انهارت ودعائم منازلهم قد تقوّضت .

- قال نيرون : وماذا تظن انه يرضي الشعب ؟ !

- اجاب بترونيوس : انما يرضيهم العدل ايها الاله ! فهم يفتشون عن سبيل للانتقام .

- قال نيرون : ما دمت يا تيجليوس انت الذي حرقت المدينة فاذهب الى القوغاء واكشف لهم عن صدرك ليصبوا جام غضبهم عليك وينتقموا منك .

- اجاب تيجليوس : انني مستعد ان اعمل هذا عن طيبة خاطر . انما لا تنس اني رئيس الحرس البريتوري . وهذا الحرس يجنني فاذا ما قُتلت اخشى ان يشور الجنود عليك ، فتصبح حياتك في خطر ...

واصفراً وجه نيرون ، ولم يجد وسيلة للخروج من هذا المأزق . وكانت زوجته تقف على مقربة منه فنادت تيجليوس وهمست ببعض الكلمات في اذنه ملمحة له بضرورة الانتقام من المسيحيين ...

- وعاد على الاثر تيجليوس ومثل امام الامبراطور وقال : ان الشعب لا يرضى بضحية واحدة ، بل هو يحتاج الى آلاف الضحايا ... وانت ايها العاهل العظيم تعرف هذه الشيعة الجديدة التي ظهرت في بلادنا مؤخراً . انهم اتباع المسيح الذي صُلب في عهد الوالي بيلاطس البنطي . ومراراً عديدة اخبرتك عن مراسيمهم وعباداتهم وعن تصريحاتهم الخطرة . وها هم جمهرة الناس يرتلون منهم ، لانهم لا يدخلون هياكلنا ، ولا يسجدون لاهتنا مدعين ان فيها ارواحاً شريرة . هؤلاء المسيحيون لا يحضرون اجتماعاتنا ، ولا يشتركون في مسابقاتنا ومراهلتنا ، وهم

فوق ذلك لا يحترمونك بل على النقيض يعتبرونك عدواً للجنس البشري .

وكان نيرون وجد لنفسه منفجاً في هذه الاقوال . وعلى الاثر قال : هذا الشعب يود الانتقام ، فليكن له ذلك . انهم يتوقون الى الدماء فلنرو ظمأهم عن طريق هؤلاء المسيحيين ... ثم وقف منتصباً ورفع يديه الى العلاء وصرخ : يا زفس وابأو وآلهة بلادي ساعدوني على اعطاء قراري ...

واتنفضت پوپايا من جانبه وقالت : هؤلاء المسيحيون هم اعداء الانسانية ، واعدائك يا نيرون فلا تتأخر عن معاقبة هؤلاء المحرمين !

ووضع نيرون يديه على صدره وقد غلبه التعب والاعياء . وقال : اي عقاب يتناسب مع جريمتهم ... اني اضرع الى الآلهة ان تلهني حكماً يتشبي مع فداحة جرمهم ، وفي الوقت ذاته يرضي شعبي ويحملهم على ان يتذكروني على ممر الاجيال .

*

وخشي بترونيوس ان يسبق السيف العذل وان يوقع هذا الرجل المتهور المتقلب حكمه الجائر على جماعات المسيحيين . فاشفق عليهم لانه اعتقد ببراءتهم . كما انه خشي على ليچيا - التي كانت احد افرادهم . واخذ يشحذ ذهنه عساه يهتدي الى طريق ينقذ فيها حبيبة ماركوس من هذا الحكم الصارم . واخيراً انفتقت له فكرة جديدة فرغب ان يبسطها للامبراطور فقال : حقاً لقد وجدت ضحايا وفي وسعك هوانت صاحب السطان اصدار الحكم عليهم . لكن كن شجاعاً

يا نيرون ولا تموت على شعبك بل تجرأ وقل لهم انك انت الذي حرقت روما . وسوف تتناقل الذراري هذا الحدث العظيم بان نيرون الجبار من قرط قدرته وقوته استطاع ان يضحي ببلاده في سبيل فته . عندئذ يقال انه منذ الخليفة لم يستطع احد ان يفعل ما فعله نيرون ... فاحترس ايها العاهل كي تحافظ على سمعتك بان لا تسمح للاجيال اللاحقة بان تهزأ منك ، فتقول ان نيرون حرق روما بيد انه كان جباناً فلم يجرؤ على المجاهرة بعمله بل اسند الجرم الى جماعات من الابرياء ...

وتأثر نيرون من عبارات بترونيوس التي كان يهدف من ورائها تخليص المسيحيين الابرياء من هذه التهمة . وساد الجوفرة من السكون ، وتطلع الجميع الى نيرون ليروا حكمه وقراره ... وحقاً وجه نيرون هذا السؤال الى بترونيوس فقال : اخبرني لماذا تريد ان تبقي على حياة هؤلاء المسيحيين - اعداء الدولة ؟ !

وقاطعته زوجته بقولها : انه يعمل ذلك لكي ينقذ ليجيا ربيبة بلوتيوس - وحبيلة ماركوس . انها من اولئك المسيحيين كما انني اخشى ان يكون بترونيوس قد غدا ايضاً مسيحياً ... وسأله نيرون : احقاً انك مسيحي يا بترونيوس ؟ ! اجاب لو كنت مسيحياً لتصرفت مثلهم اذ ان من مبادئهم محبة القريب وها انا عندما اتطلع الى الناس حولي في هذا القصر لا اجد قلباً من هذه المحبة او من يشجني على محبة الآخرين ...

قال نيرون وقد عيل صبره : الشعب يتطلب انتقاماً . وسوف

اروي ظمأهم بان اغزو حرق روما الى هؤلاء المسيحيين ، وهكذا
نتخلص من هذه الشيعة الفاسدة التي اخذت تستم الافكار ضد
الامبراطورية . فانا عازم على افناء هؤلاء المسيحيين وابدتهم عن وجه
الدنيا . وسوف يكون عقابهم عبرة لكل من يحاول ان يؤذي روما
او يتعرض لشخص امبراطورها باي سوء او اذى .

ونادى الكاتب ، واخذ يمي عليه مرسومه الامبراطوري الجائر ،
وقبل ان ينتهي منه هتف بترونيوس قائلاً: قبل ان توقع المرسوم يا نيرون
تذكر ان روما اعطت العالم النظام والعدالة . وبتجريمك المسيحيين انما
تجرح نفسك امام التاريخ ، وتضع وصمة عار في جبين العدالة الرومانية .
انك باضطهادهم وقتلهم انما تخلق الشهداء منهم - فدماء هؤلاء الشهداء
سيكون بذاراً لانتشار دينهم ، وضماناً لبعثهم وخلودهم .

وتفرّس نيرون في وجه بترونيوس وهو يوقع المرسوم الفظيع
ويقول : عندما اييد هؤلاء المسيحيين فعندذاك تأكد بان التاريخ لا يعود
يذكرهم ، ولن تقوم لهم قائمة فيما بعد ... !

الفصل الرابع عشر



ماركوس يلتقي بالرسول بطرس

وبعد ان وصل ماركوس بيت بترونيوس استسلم للنوم لانه رغم صلابه عوده ، وقوة بنيته شعر بالحاجة الى الراحة بعد تعب ذلك اليوم المضني ، وما اسرع ما استغرق في نوم عميق . وعند الصباح خف الى الحديقة ليستنشق النسيم العليل ، فاذا بليجيا قد سبقته اليها ، لانها كانت منهمكة في استقبال اللاجئين الذين جاءوا يتطلعون الى مكان أمين من النيران .

واقبل ماركوس ليخبرها انه جاء من انثيوم لانقاذها . وانه جزع كثيراً عندما شاهد بيت مريم كومة من الرماد ، وانه الآن سيظل مراقباً لها لان مخاطر الساعة كثيرة ، ولا يعرف احد ما يحمله المستقبل معه ، لاسيما وان العبيد قد بدأوا يشورون على اسيادهم ، والفوضى اخذت تتفشى في شتى الاماكن والاوراسط ...

وكانت ليجيا تصفي الى حديثه باهتمام ، ثم قال لها ماركوس وهو يبتسم : سوف اخلصك من هذه الاخطار بان احمكك معي الى صقلية ، فبيتي سيكون بيتك ، وممتلكاتي ستكون ممتلكاتك . وسوف اعيدك الى پومينا لاقترب بك عن يدها . وقطع عليها مجرى الحديث وقع

اقدام فالتفت ماركوس ليرى من القادم فاذا هو الرسول بطرس .

- وللحال هرعت ليجيا لاستقباله . وعندما رأى بطرس ماركوس قال له : لطالما سمعت عنك ... وانها لفرصة سعيدة ان يتاح لي ان اراك ... واني اقدر لك - ايها القائد العظيم - اهتمامك الزائد باختنا الغريزة ليجيا ...

- فقال له ماركوس : ارى من الحكمة ان يتوارى المسيحيون عن الابصار ريثما تهدأ العاصفة ، فلا يزاولوا نشاطهم او ييذروا بذورهم في هذا الجو المضطرب .

- وكانت الاصوات تتعالى في الخارج - فجذب ماركوس نظر الرسول بطرس اليها وقال : يبدو ان الحالة اخذت تتأزم ، وها هي اثارها بادية في هذه الفوضى التي بدأت تشيع حولنا .

- اجاب بطرس : لقد طفع السيل ، وكثرت المآسي اذ اصبحت كياه البحار ... و اشار الى ليجيا وقال : خذ هذه الفتاة التي ارادها الله لك وخلصها ...

- وطمانه ماركوس بقوله : اني لا اترككم تتعرضون للهلاك هنا ...

- اجاب الرسول : لقد اناط بي السيد ان ارعى غنمه . فقد اوصاني ثلاث مرات وانا قرب بحيرة الجليل ان ارعى قطيعه ، واذا كنت انت الذي لم تنط به رعاية الشعب لم ترض بان تتركنا نستهدف للهلاك فهل ينتظر مني انا الذي انيطت بي هذه المسؤولية المقدسة ان اترك القطيع

الصغير هذا يتعرض للهلاك ... ؟ ! اني اذكر ان سيدنا المسيح عندما
هبت العواصف علينا فوق البحيرة لم يتركنا نستسلم للخوف وللهلاك بل
هدأ روعنا بأن أسكن العاصفة حولنا ... افلا يليق بي ان اسير في
خطواته وانهج منهاجه ... ؟ !

- وصحت ماركوس هنيئة ثم التفت الى ليجيا وقال : سوف اعود
الى المدينة لاجتمع بنغايوس - زميلنا في القيادة - لاننا نريد ان نضع حداً
لهذه المآسي فننقذ البلاد من حكم الطغيان . وسوف اعود اليكم قبيل
المساء . واذا اضطرت للبقاء ارسلت لكم من يحمل الاخبار بذلك .

ترك ماركوس المكان متوجهاً الى بيت خاله . وحالما شاهده
بترونيوس شكر الآلهة على حياته وصرخ قائلاً : كنت كثير القلق
عليك يا ماركوس لان الاوقات شريرة . وشاهده يحمل رسالة بيده
فسأله عنها . فقال له ماركوس : انها وثيقة خلع نيرون . فالجيش قد
قرر خلعه وتنصيب القائد غالو امبراطوراً مكانه . وها نحن سنبعث
لغالو طالين منه قبول تسلم الحكم . ولا شك انه اذا رأى امضاءك
على هذه الوثيقة يزداد ثقة واثماناً ، ويكون اكثر استعداداً لقبول
عرضنا ...

وبعد ان وقع بترونيوس الوثيقة ناولها ماركوس الى احد الجنود
حالباً منه الاسراع بتسليمها الى غالو . اما بترونيوس فنصح ماركوس
ان يذهب مع ليجيا الى مكان بعيد عن المدينة ، لان الامبراطورة
حاقدة عليه ولا بد ان تصب جام غضبها على كليهما . واسر اليه
بأن نيرون يعتزم اضطهاد المسيحيين متهماً اياهم بحرق روما .

- وسأله ماركوس : وهل يصدق الشعب هذه الشائعة ؟ !

- اجاب بترونيوس : اجل ان الجماهير تصدق كل شائعة في هذه الايام .

واستدعى بترونيوس يونيس لتسليه ، فدخلت هذه الجارية الفتاة تتهاذى بثوبها البنفسجي ، جلست واياها يتسامران ويتناغيان . ثم تأوه بترونيوس وقال : وماذا يحل بنا فيما لو اضطررنا ان نفترق ؟ !

- فالتفتت اليه يونيس وقالت : وكيف يكون ذلك ؟ !

- اجاب : ربما اضطرت للذهاب الى سفرة بعيدة ...

وجلسا الى مائدة زخرت باصناف الطعام . وفيما هما في غمرة سرورهما دخل عليهما احد العبيد وقال : ان احد ضباط الحرس الهيتوري بالباب . وهو يحمل امرأ من الامبراطور . ولم يكن زيرون ليتصل بمستشاره عن طريق الحراس ، لذلك توجه بترونيوس بعض السوء ، ولكنه لم يتظاهر بالاضطراب بل تناول الكتاب من يد الحارس برباطة جأش واطلع على ما جاء فيه . ثم التفت الى يونيس وقال لها : ان الامبراطور يرغب ان يقرأ كتاباً جديداً هذه الليلة ، وهو يدعوني للحضور ...

- وسألته : هل انت راغب في الذهاب ؟ !

- اجاب : ان صحتي تساعدني للذهاب والاصفاء الى اشعار الامبراطور . وارى انه من الافضل لي ان اذهب لاسيا وان ماركوس لا يستطيع ان يكون حاضراً .

وتوجّه بترونيوس الى قصر الامبراطور . وسأله نيرون لماذا لم يحضر
ماركوس معه ؟ اجاب بانه لم يكن في البيت . ثم تابع حديثه
بقوله : اخبره انني اسرّ بمرآه ، وآمل الا تفوته مشاهد عذاب المسيحيين
الذين سيطرحون الى الوحوش لاشتراكهم في حرق روما .

واضطرب بترونيوس لانه ادرك ان رشاشاً من هذا الاضطهاد لا بدّ
ان ينال ليجيا - خطيبة ماركوس . ولذلك حاول ان يترك مجلس
نيرون ويعود الى بيته سريعاً . ولدى عودته كان اول سؤال وجهه الى
الخدم استفساره عما اذا كان ماركوس قد عاد الى المنزل ؟ ولما
علم ان ماركوس موجود ذهب ليراه فوجده شارد اللب ، مطأطئ
الرأس ومضطرب البال ، فسأله عن سبب وجومه واضطرابه فاجاب : لقد
وصلني الساعة نبأ القاء القبض على ليجيا . وعلمت انها أودعت سجن
هامرتن ... !



الفصل الخامس عشر



ماركوس يسجن مع جماعة المسيحيين

وتعالت الصرخات من كل صوب وناحية : اطرحوا المسيحيين
 للاسود - فهم اسباب الكارثة ... ! وهم الذين حرقوا روما ... !
 وصدق الشعب هذه الشائعات لان العوغاء كانوا يتوقون للتمتع بنوع من
 التسلية ، ومتعطين لارواء سورة غريزة الانتقام بمشاهدة هؤلاء البؤساء
 يصارعون الموت عندما تفتك بهم الوحوش الضارية ...

ونُصب امفيثياتر خشبي كبير لهذه الغاية . وكنت ترى الوحوش
 الكاسرة تساق اليه زرافات ووحدا ، وعلى مرأى من العوغاء وحشود
 الجماهير الثائرة . وما اسرع ما أُجلبت الفيلة والتمورة من افريقيا ،
 والتاسيح من نهر النيل ، والاسود من جبال الاطلس وانواع اخرى من
 وحوش ضارية أُجلبت من غابات جرمانيا . وقد اقتضت الحاجة الى وجود
 الكثير من الوحوش لان الضحايا كانت متعددة ووفيرة ، ولان رغبة
 الجماهير كانت تستدعي التنوع في هذه المتعة الاجرامية .

وساعدت العوغاء افراد الحرس البريتوري للقبض على المسيحيين .
 وكان الجند لا يجدون في ذلك مشقة ، لان المسيحيين كانوا يحترقون في

الخدائق والبساتين ولا يخشون الاعتراف بدينهم علانية . وعندما كانت
تداهمهم فرقة من الجنود كانوا ينجحون على ركبهم ، ويصلون الى سيدهم ،
ويتنقون ببعض التساييح الروحية ، ثم يقدمون على تسليم انفسهم غنيمة
باردة الى مضطهديهم ومعذبهم .

وهذه السكينة التي لازمتهم ، والصبر والثبات اللذان واكباهم ،
اهاجت سخط الجماهير واثارت غضبهم ، فكنت ترى الغوغاء تهاجم
المسيحيين بشدة ، وتنتزع اطفالهم بقسوة متناهية من وسطهم ، وتسوق نساءهم
من شعورهم بفضاعة على مرأى منهم . وسرعان ما اقام الشعب احتفالاته
السارة ، وللايمه الخليعة على اصوات هؤلاء البؤساء . وانين جرحاهم .

*

وتوجه ماركوس الى سجن مامرتن حيث كانت ليجيا مسجونة
وهو يعتزم ان يساعدوا لاجراجها من السجن واطلاق سراحها . وعندما
اقترب من السجن اعترضه احد الحراس وحالما عرفه همس في اذنه بان ليجيا
بأمان اذ هي وُضعت في حماية اورسيوس . وتبين لماركوس ان هذا
الحارس يخفي شارة السمكة بين ثيابه فعرف انه من المسيحيين ،
فاطمأن باله ، وهدأ روعه . وقاده هذا الحارس الى الداخل وسأل بعض
الجنود ليدلوا ماركوس على عائلة بلوتيس ويرشدوه الى افرادها .

- وخطب ماركوس الجنود قائلاً : لدي اوامر بان اطلق سراح
هذه العائلة ...

- وسأله الحراس ان كان لديه امر كتابي بذلك ؟ !
 - اجابهم : انا قائد الفيلق الرابع عشر الروماني وانا اصدر
 الاوامر بذاتي ...

*

وكان تيجليوس رئيس الحرس يستمع الى هذا الحديث وللحال ظهر مع
 كوكبة من الجنود فطوقوا المكان والقبض على ماركوس وجردوه
 من سلاحه . وخاطبه تيجليوس قائلاً : لقد توقعنا ان تكون هذه
 نهايتك يا ماركوس . وانه لشرف للجندي الروماني ان يموت في ميادين
 القتال وساحات الوغى ، بيد انك اخترت لنفسك ميتة شنيعة ... وعلى
 الاثر امر تيجليوس الحراس ان يزجوه في غياهب ذلك السجن مع جماعات
 المسيحيين .

وحمله الجنود بعنف الى غرفة داخلية مظلمة حيث كان قد زج فيها
 عدد كبير من المسيحيين . فوصلت مسامعه صلواتهم ، وحزّ في قلبه
 بكاء اطفالهم .

- وعندما شاهده ليحيا تقدمت اليه وصرخت قائلة : ولماذا
 جلبوك يا ماركوس الى هنا ؟ ! فأمسك بذراعها وضغط بيدها على قلبه
 وقال : قد اتيت ايها الحبيبة لاخلصك ... !

- اجابته : لكنني اشعر بدنو اجلي ... وسوف اموت قريباً اماً في
 هذا السجن او في الساحة العمومية . واني كنت اصلي من اجلك

ويظهر ان السيد استجاب صلاتي اذ سمح لنا بهذه الساعات القليلة لكي
نودع بعضنا بعضاً ... وتأكد يا ماركوس انني ذاهبة عند سيدي ،
وسوف اعلمه عن عظم محبتي لك ...

- ولم يستطع ماركوس الا ان يحيب بصوت خافت من شدة الحزن
قائلاً : لا يا ليجيا ... انت لا تموتين ... ! فقد وعدني رسولكم الامين
ان يصلي من اجلك ، وقد اكّد لي ذلك التلميذ الذي رافق المسيح ان
سيده يعطف على اتباعه وانه لا يتركهم وحيدين ...

- وعلقت ليجيا على كلامه بقولها : لكن اذكر ايها الحبيب ان
المسيح بنفسه صلى الى ابيه السماوي لكي يرفع عنه هذه الكأس ،
بيد ان ارادة الأب كانت ان يشربها . وانت تعلم ان المسيح مات
على الصليب من اجلنا ... وهما هم اتباعه يستعذبون الموت والاستشهاد
في سبيل عقيدتهم ... وعندما داهمنا الجنود خشيت وفزعت في بادئ
الامر بيد انني الآن لا اخشى احداً حتى في غياهب السجن لاني اعرف
ان المسيح رفيقي ، وهو يقويني ويشدد غريقتي ...

سأذهب يا ماركوس الى السماء ، حيث التقي بالخالص . فان كان
قيصر هو الحاكم في ارضنا فهناك الحكم لابن الله ... وهناك لا نجد
تعباً او غناء ، ولا فحس بجوع او عطش ... وان كنت تحبني
يا ماركوس فافرح معي اذ سأحصل على هذه السعادة التي تنتظرنني ...
عدني يا ماركوس ان لا تحزن علي ، وان تجد لك غزاء في مواعيد هذا

السيد الالهية . وعانقها ماركوس ويدها ترتجفان وهتف في اذنها قائلاً :
اعدك يا ليجيا ...

وعلى الاثر بانث حول وجهها هالة من النور فتناولت يده ، وادنتها
من شفتيها ، وطبعت عليها قبلة الاخلاص والمحبة وقالت : انا زوجتك
يا ماركوس ...

*

وكان الحراس في الخارج يصخبون ويضجون ، ويسكرون
ويقامرون . اما في داخل السجن فقد غمرت الحبيبين موجة من الفرح
وعرتهما نشوة صوفية ، تناسيا فيها ظلام السجن ومشاكل العالم حولهما .
ولشدهما شعرا عندذاك بانهما أحملا الى افياء عالم جديد ، واحسأا انهما
تحولا الى ملاكين طاهرين حلقا الى سماء الخلود والى عالم النور
والضياء ...

الفصل السادس عشر



فرابة بترونيوس والتجارة

شعر بترونيوس في الاونة الاخيرة ان يبرون يحاول التخلص منه والقضاء عليه . وقد استتج ذلك من ماجريات الاحداث ووقائع الايام . وعندما احس بان نهايته قد اقتربت ، فكر في اقامة وليمة كبيرة يودع فيها اصحابه وديناه . فعين لها موعداً وبعث خدامه الى دور اصدقائه ، يدعوهم الى تلك الحفلة العظيمة التي اعدّها .

وفي ليلة الحفلة ، لبس احسن ملابسه ، وتققد الوان الاطعمة وترتيب الموائد ، واكليل الزهر التي ضفرها الفتيان الاغريق لتوضع على رؤوس الضيوف . واشرف بنفسه على الترتيبات الاخرى ليتحقق ان الاستعدادات تامة وكاملة . ثم كتب وصيته وذهب ليستقبل ضيوفه دون ان يظهر شيئاً من الاتزعاج او الاضطراب . بيد ان الخدام لمسوا ان شيئاً غريباً كان متوقعاً حدوثه ، لاسيما وان بترونيوس في ذلك النهار اغدق عليهم الهبات والعطايا ، ووعدهم بمكافآت سخية اذا ما اتقنوا تنظيم الحفلة وضمنوا نجاحها .

وانفرد بترونيوس بيونيس التي لبست رداء ناصع البياض ووضعت

الريحان بين ضغائر شعرها . مخاطبها قائلاً : انني لم اعتبك يا يونيس أمة لي طيلة هذه السنين التي اقتها بين ظهرانينا .

- وتطلعت اليه بعينها الزرقاوين وقالت : انني لك يا سيدي على مدى الحياة ...

- قال : لقد وهبتك هذه الدار ... وهؤلاء الخدام ... وجميع كنوزي ! ... !

- ودُهِشت لهذا التصريح فقالت مستوضحة : وماذا تعني ؟

- وسكت قليلاً ثم رمقها بنظرة حنان وقد بدت يونيس امامه كتمثال من المرمر او الرخام ثم قال : اني ارجب ان اموت ميتة وادعة يا يونيس ... !

وعاد الى ضيوفه وكانوا قد ملأوا القاعة ، ولم يتوقع احد ان تكون هذه آخر وليمة يقيمها بترونيوس . فقد توجس الكثيرون ان خيوط النعمة التي اخذ يغزلها نيعون لا بد لها من ان تمتد الى مستشاريه واعوانه ، وفي مقدمتهم بترونيوس . بيد انه لم يدر بجحد احد منهم بان بترونيوس كان مزعماً عندذاك على الانتحار .

ولم يظهر بترونيوس شيئاً من الاضطراب اثناء الخفلة بل سعى لادخال البهجة الى قلوب ضيوفه لذلك امر باضاعة المصاييح ، وبملء الموائد باصناف المآكل . ثم جاء بالجوارى المغنيات ، وبالفتيات العازفات على القيثاري ، والضاربات على الصنوج . وادار الكؤوس التي ترصعت

بالحجارة الكريمة وطلبت بالذهب ، ففلاها بالخمر وقدمها للضيف .

وفي وسط هذه الغمرة من الابتهاج وقف بترونيوس يخاطب المدعويين قائلاً : انني ودعت روما وكتبت كتاباً اخيراً لحاكمها . فهل ترغبون ان تسمعوا ايها الاعزاء ماذا كتبت ؟ ! وعلى الاثر تناول من تحت وسادته الارجوانية الكتاب الوداعي والوصية التي كتبها . فقرأ لهم ما يأتي :

اني اعلم يا صاحب الجلالة انك تنتظر قدومي بفارغ صبرك ، لان قلب الصديق انما يتوق لصديقه ليلاً ونهاراً . وانا متأكد بانك مستعد بان تغفرني جبهاتك . وعطاياك السخية . . . لكنني اقسم لك باشباح والدتك ، وزوجتك ، واختك . اللواتي قتلتهن باثني لا استطيع الذهاب اليك . . .

واعلم يا نبرون ان في الحياة كنوزاً ثمينه وانا قد اخذت اثني النفائس وحصلت على احسن الكنوز . بيد ان في الحياة اموراً اخرى لا استطيع ان اتملها . فلا يسرين الى ذهنك انني استرحمك الآن لجرائمك ووحشيتك ساعة قتلت زوجتك . ووالدتك ، وحرقت روما ، وازهقت حياة الكثيرين من الابرياء . . .

فانا اعلم ان الموت هو ميراث الانسان ولا يمكن ان تتوقع شيئاً منك غير هذه السلسلة من الجرائم والمآثم . انما ما حزن في نفسي وآلمني كثيراً هو افسادك ذوقي باصارك على ان اصغي اليك سنين طويلة الى تلك الانعام المبتذلة ، والشعر الرخيص . . . فقد هبطت بالفن الى اسفل الدركات ، واسفقت في الذوق الفني غاية الاسفاف . فهذه حالات لم استطع احتملها ، ومن اجل وضع حد لها اقدمت على الانتحار . واعلم ان العالم سيسخر بك عندما يسمع منك امثال هذه الاغاني الدنيئة والاشعار المبتذلة . انه افضل لك يا نبرون ان تقتل الناس بالسم من ان

تندهم الشعر ، واسهل عليك ان تحرقهم بالنار من ان تعزف لهم على قيثارتك .
وهذه آخر نصيحة ارفعها اليك ...

وجزع الضيوف عندما سمعوا بترونيوس يقرأ عليهم هذا الكتاب الذي سيرسله الى نيرون ، لانهم ادرکوا انه اسهل على امپراطورهم ان يفقد امپراطوريته من ان يسمع انتقادات جارحة مثل هذه توجه الى فنه ... وقد تأكدوا ان من يكتب مثل هذا لا بد ان يتعرض الى الموت . غير ان بترونيوس لم يضطرب بل ظل يتسم لضيوفه وقال لهم : لا تجزعوا ...

وعلى الاثر استدعى طبيبه الاغريقي ، ومد له ذراعه ، وطلب منه ان يفصده . ففصده الطبيب فسات انهار من الدماء ، لوث الطنافس ، ولطخت ثوب يونيس الابيض . وعندما شاهدت يونيس سيدها ينزف دمأ قالت : اقطن يا بترونيوس اني اتركك ؟ ! هب ان الالهة منحني نعمة الخلود ، وهب ان قيصر منحني سلطاناً على هذه الارض ، فانا رغم ذلك ساتبعك حيث تذهب ... ! فابتسم بترونيوس ولمس شفتيها وقال لها : اتبعيني اذن يا عزيزتي ...

وللحال مدت ذراعها للطبيب ، وطلبت منه ان يفصدها فسات دماؤها قانية وامترجت بدم بترونيوس الشهيد . وعلى الاثر عزفت الحاربات انشودة اناكريون الحزينة ، وظل الحبيبان ينزفان دمأ ، ملقياً كل منهما بصدرة على الآخر الى ان بدا الاصفرار والشحوب ينشي

وجيهها . وسقط الاثنان جثتين هامدتين على الطنافس المخملية ، والوسائد
الحريرية . وتأوه الضيوف عندما شاهدوا الشبحين منظرين امامهما
وهتفوا قائلين : لقد زال ما تبقى في العالم من حب وجمال وولاء ...

*

وَصُقْ نِیرون لدى سماعه بموت بترونیوس . ولم یصدق النبأ المریع
بأدى الامر الا ان سینکا اكد له صدق انتحار بترونیوس .

- فرثاه نیرون واخذ یقول : ایوت بترونیوس بدون اذنی فاننا لن اغفر
له هذا العمل ... !

- وقال له سینکا : قد ترك لك رسالة وداع ، اعطانی ایها
لاسلمها الیک .

- وتناول نیرون الرسالة وقال : ما اوفاه من صديق ! انه ذکونی
حتى فی ساعاته الاخیره ! فیالہ من مستشار امین ! وصديق وفی
صمیم ... ! فانت وحدک یا بترونیوس فهمتی ... واخذ یبکی ویجمع
دموعه فی اناه فضي . وتابع قوله اننی لاذرف الدمع السخین من
اجلك - وساحتفظ بهذه الدمع فی هذا الاناء الفضي لتعرف الذراری
والاجیال ان نیرون حزن علی مستشاره وبکاه دمعاً سخیناً .

وعاد نیرون لمتابعة قراءة الرسالة . وكان سینکا یشایعه بنظراته .
فعندما وصل الی الفقرة التی تشير الی انتقاد شعره وغنائه امتنع لون

الامباطور واثارت ثائرتة . وعلى الاثر مزق الرسالة وكسرت زجاجة
 الدمع واخذ يصرخ^١ ويلجج قائلًا : احرقوا بيت بترونيوس ! ولا
 تقبوا منه حجراً فوق حجر ! مزقوا كتبه ! - اقتلوا خدامه
 وجواريه ! - خربوا حدائقه ! - وأزيلوا أي أثر له في هذه
 الدنيا ... !



الفصل السابع عشر



كو فادس ... الى ابيه ؟

وبعد بضعة ايام شوهذ شخصان يسيران في طريق ابيان . وكان احدهما تزاربوس والثاني الرسول بطرس . ولقد كان بطرس عازماً على ترك روما ليفرّ من وجه نيرون الظالم ، تاركاً وراءه جماعات المؤمنين الذين تعرضوا لسيف الاضطهاد . وكانت السماء عندذاك تصطبغ بالوان عسجدية جميلة ، وكانت الثيالات المشادة من المرسر والمكتنفة بالاشجار الظليلة تزين جنبات ذلك الطريق التاريخي .

واصطبغت زرقة السماء بخيوط الشمس الذهبية ، فبان الافق فتناً ساحراً ، ولعلت فوق تلال روما الاشعة القرصية المنعكسة على الاشجار المغطاة بقطرات الندى ، وعلى الثيالات الناصعة البياض .

وكانت طريق ابيان في تلك الغدوة مقفرة من العادين والرائحين ، والسكون يحيم فوقها سوى لصوت وقع احذية ذينك المسافرين . وتراءت امام عيني الرسول هالة من النور برقت في السماء وتداننت من الطريق . فبهت لدى مشاهدة هذه الاحداث الحارقة ووقف مشدوهاً ، وخطب تزاربوس قائلاً : الا ترى هذا الضياء يلاحقنا ؟ !

- اجاب تزارايوس : انني لا ارى شيئاً ...

- ووضع الرسول يده على احدى عينيه وتطلع في لآلئ الشمس
ثم قال : يتراءى لي انني ارى طيفاً من بعيد ... !

وشهد تزارايوس الاشجار تتأرجح وتهتز ، والضوء يغمر الحقول
والسهول . والتفت الى معلمه فوجده صامتاً مشدوهاً فقال له : ماذا
يؤلمك او يزعجك يا سيدي ؟ !

وللحال سقطت العصا من يمين بطرس ، وظلت عيناه مسمرتين
في الافق ، وهما تشخصان الى الامام . وارتسمت علامات الفرح على



مشهد الرسول بطرس مع تزارايوس وهما يتركان روما ساعة تراءت
للرسول الرؤيا السماوية وسمع النداء كوثادس

وجهه ، وارتقى على ركبته كأنه في نشوة علوية صوفية واخذ يصرخ :
ايها المسيح ! ايها المسيح !

ووقع على الارض كأنه يقبل قدمي ذلك الشخص غير المنظور .
واستمر الصمت خجياً على ذلك المشهد لوقت طويل . ثم تحركت شفتا
بطرس واذا به يهتف بتلك العبارة التي سمعها اثناء تلك الرؤيا - ويعالي
بصوته قائلاً : **كوفادس ... الى اين ... اين انت ذاهب ؟** !

*

وسمع بطرس صوت السيد يقول له بخزن : ان تركت روما
فعبنداك سأعود اليها لاصلب ثانية ... وتأثر الرسول من هذا الكلام
فسقط على الارض ، ولامس وجهه التراب ، وظل صامتاً هادئاً . وظن
تزاربوس انه قد اغمي على سيده او فارق الحياة لانه لم يكن قد
سمع ذلك الصوت الالهي مثل بطرس ... بيد انه لم يرض وقت طويل
حتى نهض الرسول ثانية ، ممسكاً عصاه بيديه المرتجفتين ، ومتطلعاً الى
التلال السبع التي خلفه ... وكأن اصداء كلمة كوفادس ما برحت
تتماوج في اذنيه ...

وهتف بطرس قائلاً : لنعد الى روما - لان هذه هي ارادة السيد .
وعاد الرسول على الاثر الى جماعات المؤمنين الذين تشجعوا لدى رؤيته
ثانية . وما اسرع ما اخبرهم بانه شاهد الرب وسمع صوته . وطفق
الرسول يتجول من مكان الى آخر متنقلاً من المقابر الى السرايب ليعلم
الذين قبلوا المسيح مخلصاً حياتهم حقائق ايمانهم ، ومعمداً اياهم بالروح
القدس وبماء الحياة الابدية .

ولم تكن الاضطهادات او العذابات لتضعف المسيحيين او تفت في عضدهم بل ان كل دمة ذرفها شهادتهم ، وكل زفرة خرجت من افئدتهم المكلومة انما كانت اداة لتزايد عددهم ، ومدعاة لتقوية ايمانهم . وفيما كان قيصر يسبح في بحر من الدماء ، وروما غارقة في الظلام ، كنت تجد هؤلاء المضطهدين والبائسين والمعذبين في الارض يقبلون على تفهم البشائر السارة ، ويهرعون الى تسليم نفوسهم الى المحلص الفادي .

اجل ! كنت ترى هؤلاء المسيحيين الاوائل يفيضون بشراً وفرحاً ويعيشون بنجوة واخوة من جراء قبولهم المسيح ، وتسليم دفعة حياتهم اليه . وتحقق بطرس مع غيره من جماعات المؤمنين ان لا قيصر او فيالق الامبراطورية تستطيع ان تحقق تلك البذور التي اخذت تنمو وترعرع ، وانه ليس في وسع الدماء او الدموع او الاساطيل او الجيوش ان تحقق الانتصارات للامبراطورية بقدر ما حققته بين جماعات المسيحيين المضطهدين بذور الايمان والرجاء والمحبة بالمسيح .

وادرك بطرس السبب الذي من اجله دعاه الله للعودة الى تلك المدينة الخالدة ، اذ قدر لهذه المدينة بالاضافة الى ترعها سيادة العالم الزمنية ان تكون ينبوعاً فياضاً للقوى الروحية ، ومركزاً لانطلاق الدعوة المسيحية ...

الفصل الثامن عشر



اضطراء المسبيين واستشهادهم

واقرب اليوم الذي فيه رتب نيون مذبحة المسبيين . فقد خصص
ساحة الامفيثيتر الكبير لتعذيب هؤلاء المنكوبين ولاستشهادهم .
ولذلك غدت الجماهير تحتشد بالقرب من المكان ، مترقبة معاد فتح
الابواب ، ومصغية بدهشة الى زئير الاسود ، وعواء الكلاب . وكانت
هذه الوحوش الكاسرة قد تركت بضعة ايام بلا طعام لتصبح ضارية
كاسرة من شدة الجوع .

وتصاعدت على مقربة منها اصوات الترانيم الشجية المنبعثة من حناجر
المسيحيين المعتقلين في ظلمات السجون . وما ان دنا الوقت لفتح الابواب
حتى علا الضجيج بين الغوغاء اذ اخذوا يتحدثون عن شراسة
الاسود ، وعن قوة المصارعين ، وعن تلك الضحايا التي ستقدم للوحوش
الكاسرة .

وسار الموكب بانتظام ، فظهرت في الطليعة فرقة المصارعين المؤلفة
من خمسة وعشرين مصارعاً ، وكانت اجسامهم العارية تلمع بما طليت به
من زيوت ، وعضلاتهم المقتولة تنم عن شدة القوة وصلابة العود . وتبعهم

جماعة من الرجال الاشداء ، الذين كانوا يحملون الاسواط لالهاب ظهور المتقاعسين من المتصارعين . ولحقت بهم صفوف المركبات المحملة بالتوايت الحشبية . واخيراً جاء الرجال المناط بهم حفظ النظام ، ومراقبة الجماهير . واندس بينهم العبيد الذين حملوا صنوف الاطعمة والوان المشروبات . وبرزت في مؤخرة الموكب كوكبة من الجنود البريتوري الذين تولوا حراسة الامبراطور وحاشيته .

وما ان فتحت ابواب الامفيثياتر حتى هرعت الجماهير لتتلاءم المقاعد . وتهبجت الوحوش لدى سماعها هذا الضجيج المتعالي ، فاشتد زئير الاسود الكاسرة ، وعواء الكلاب الضارية . ودخل الاشراف والتبلاء وجلسوا في المقاعد الامامية وكانوا يرتدون الالبسة البيضاء . وتبوا الامبراطور فوق عرش نُصب فوق منصة مرتفعة وهو يلبس تاجاً من الذهب مرصعاً بالحجارة الكريمة . وجلست الامباطورة عن يمينه ، وحولها احتشدت عذارى قستا ، والقواد ، ورجال الدولة . وكانت باقات الزهر واغصان الكرمة ترين أعمدة المدرج ، ومداخل الامفيثياتر .

وملأت عامة الشعب المقاعد الخلفية ، وهم يقهقون ويتراشقون بالبنكات ، ويضربون بارجلهم الارض للاسراع في عرض هذه المشاهد المنتظرة . وظهر فجأة مدير المسرح وهو يلوّح بمنديله كعلامة لليده بالاستعراض . ونفخ احد الجنود بالبوق فتطالت اليه الاعناق . وخيم الصمت على المكان واتجهت الابصار الى الباب الذي يخرج منه

المتصارعون . وللحال ضرب احد الجنود الباب بمطرقة ثقيلة ثلاث ضربات داعياً هؤلاء الابطال الى حومة الميدان . فظهرت شلة من المتصارعين المدججين بالسلاح . وما ان وطئوا ارض الساحة حتى ساروا بانتظام مواجهين الامبراطور فحيوه وهتفوا بحياته . ثم تفرقوا في ارجائها متخذاً كل منهم مكانه المناسب . وعلى الاثر بدأوا يتصارعون ويتقارعون ويظهرون براعتهم في استعمال اسلحتهم ، والتغلب على خصومهم . واستمروا في استعراضهم هذا حتى لم يبق في الميدان من الخمسة والعشرين سوى رجل واحد .

وعلى الاثر دخل العبيد فنقلوا الجرحى والموتى ، ونظفوا الساحة من اثار القتال . ونثروا كتل الرمال فوق بحيرات الدماء . وخف بعض الغلمان لنثر الازهار والرياحين .

وما ان انتهى المشهد الاول حتى تعالت الاصوات : المسيحيون - المسيحيون !! وهكذا جاء الان دور هؤلاء المنكوبين . وعندما فُتح الباب اندفعت منه جماعات غفيرة من الرجال والنساء الذين كانوا ملفوفين بجاود الوحوش . وسبق هؤلاء الى وسط الميدان حيث خرّوا على ركبهم ، ورفعوا رؤوسهم الى العلاء . وادرك المتفرجون انهم يصلّون ، فاحذوا يصقرون لهم ، ويسخرون منهم ، ويرشقونهم بنفايات الطعام وزجاجات الشراب الفارغة . ولم يبق للقوغاء هذا المنظر الهادى فصرخوا
الاسود ! الاسود !

ووسط هذه الجلبة ارتفعت اصوات المسيحيين بنشيد عذب جميل ،
 اذ انشد هؤلاء المستهدفون الموت نشيد الرجاء يسوع . وكان هذا أمراً
 مستغرباً وعجيباً ، اذ لأول مرة سمعت امثال هذه الترانيم تنشد في
 الامقيثيات الرومانية . وادرك الجمهور انه لم يقصد من هذه الترانيم
 طلب الرحمة من الامبراطور ، بل كانت شهادة صارخة على مسيحياتهم
 واعترافاً صريحاً بعقيدتهم .

ولم يطق الجمهور رؤية هؤلاء الراكعين بخشوع امامهم لذلك طلبوا
 الاسراع باطلاق الوحوش الكاسرة عليهم . ففتحت الابواب وأخرجت
 اولاً الكلاب الضارية التي بدأت تنهش تلك الضحايا البشرية . ولما
 انتهى دور الكلاب جيء بالاسود لتقضي على البقية الباقية منهم .
 وسالت الدماء من الاجسام كالانهار ، وذهبت نفوس الابرياء قرباناً على
 مذابح الاستشهاد .

وتفتت في الجماهير حمى الانتقام ، وثارت طبيعتهم الحيوانية لدى
 رؤيتهم هذه المشاهد الدموية . فكنت تراهم ينتصبون من مقاعدهم ،
 وهم متشوقون لمشاركة الوحوش في ازهاق نفوس تلك الضحايا ، وتقزيق
 الاجسام والابدان . وشوهد الرسول بطرس جالساً في احدى الزوايا
 البعيدة ، وهو يراقب تلك المأساة بنفس مرة حزينة . وكان بين الآن
 والآخر يرفع الصليب الذي كان يخفيه في رداءه ، ويبارك اولئك
 الابطال الذين ذهبوا ضحية الظلم العاشم ، وشهداء المبدأ والعقيدة .

ورانت من الشهداء التفاتة اليه ، فعلت شفاهم ابتسامة الفرح ،

وتشجعوا عندما شاهدوا صليب مخلصهم يلمع امامهم في خطايتهم الاخيرة .
وانفطر قلب الرسول حزناً عليهم فصرى قائلاً : لتكن يا الهي
ارادتك ... فهو لا . قطيعي الذين امرتني برعايتهم - فانا اسلمهم اليك .
فاشفر جراحاتهم ، وخفف اوجاعهم ، وامنحهم سعادة ابدية بعد هذه
العذابات الاليمة .

*

- وغضب نيرون لدى رؤيته هؤلاء المسيحيين غير جزعين وقال :
الليست وقاحة صارخة ان يستمر هؤلاء بالترتيل ؟ ! كان الاولى بك
يا تيجليوس ان تجلدهم وتسومهم اقصى صنوف العذاب لتكتم افواههم
وتخمد انفسهم ...

- ورغب تيجليوس ان يهدي من روع الامبراطور فسأله ان كان
يرغب في مشاهدة مأساة ماركوس وليجيا ؟ !

- اجاب نيرون : اجلبهما مع اشد الاسود شراسة وجوعاً ...

- وربت پوپايا على كتفه وقالت : اني ارغب في ان احتفظ
بماركوس ، وجيبيته ليجيا ، لبرنامج الغد حيث افاجئكم بشيء طريف
جديد . وانت تعلم باني كنت دوماً عند حسن ظنك عندما اعدك
بمسرات جديدة كهذه .

وعندما انتهى برنامج ذلك اليوم ، اخذ بطرس يتجول بين المسيحيين
المسجونين . ليشجع عزائهم ويرفع من معنوياتهم ، فقال لهم

ان المسيح سلم نفسه للعذاب والموت فلا تجزعوا ، لان الحياة تنتظركم الآن ، فانتم ستكونون برفقة المسيح . واعلموا ان رحمة السيد واسعة تمتد الى السماء ، وهي تغطي الجبال والبحار ، وتملأ كل مكان وليس لها نهاية . وسوف تذكر الاجيال ان فوق تربة روما المروية بدماء الشهداء تجأت اجد كنيسة المسيح - تلك الكنيسة التي ستظل خالدة حتى نهاية العالم .

وشاهد بطرس بنفس كثيية اخوانه المؤمنين يساقون الى ساحات الاستشهاد ، وكان يسمع اصواتهم وهم يهتفون اوصنا... اوطالما ردد معهم هذه العبارات المشجعة : اهتفوا له ليفتح ذراعه ويحتضنكم - اهتفوا لاستقبال سيدكم ومخلصكم - اهتفوا له فانه ملك الملوك ورب الارباب .



الفصل التاسع عشر



افترانه ماركوس بليجا

واضاء القمر على ساحة الامفيثيآتر ، مرسلًا اشعته الفضية على تلك البقعة التي جرت فيها تلك المجزرة المروعة . وكان العبيد قد بادروا الى تنظيف الميدان ، ونثر ارض ساحته بالرمال ، لازالة اثار الدماء منها . بيد انه لا شيء يستطيع ان يحو ما سجله التاريخ عن تلك القساوة البربرية التي لحقت بجماعات المسيحيين عندذاك .

وعندما خيم الظلام قدم الساحة شخصان ملثان يتقدمهما نفر من الحرس البريتوري الحاملين الاضواء والمصابيح . وكان نيرون احد هذين الشخصين اذ قدم بصحبة رئيس حراسه ليتفحص المكان ، ويشاهد عن كثب الضحايا الموقوفين ، واصناف الوحوش الكاسرة المستجلبة للعمل البربري المعين لليوم التالي . ورائت من الامبراطور التفاتة الى بطرس وهو في السجن فلاحظ انه يتمتع بصفاء نفس وسكينة بال .

- فقال نيرون لتيجليوس : تخيل اليّ انه من العار علينا ان يموت احد هؤلاء المسيحيين والابتساماة على شفتيه ...

- اجابه : قد يكون هذا الذي يتسم هو زعيمهم المدعو بطرس ،

ولطالما سحرهم بكلامه وبمواعيده . وتفرّس فيه نيرون ثم قال : الافضل ان يعطى هذا الزعيم عقاباً فريداً في نوعه .

وكان بطرس جالساً في احدى نواحي الغرفة مع باقي المسيحيين السجناء ، بينما كان ماركوس يتكى على الجدار ويمسك ليحياً يمينها . وتعلت الاصوات ، وتصادت النجيب من افواه بعض النساء والاطفال . فهذه ارملة تفتش عن ولدها الذي انتزعه من احضانها . وهذه ام تبكي اطفالها الذين تركوا لوحدهم بدون اي معيل ... ولكي يعيد الرسول شعاة الرجاء الى قلوبهم اخذ يخاطبهم بهدوء قائلاً :

يا اولادي : انني شاهدت سيدكم يسرّ بذراعيه على الصليب فوق تلة الجلجثة ... انني سمعت باذني دوي مطارقهم وهم يقومون بعملية الصلب المريعة ... وكانت ارادتهم ان يرفضوا الصليب عالياً لكي يراه الناس من بعيد ، ويشاهدوا ابن الانسان يعاني ألم الموت الرهيب ... تباً لحم من قساة ! فقد طعنوا جنبه بالحرية وساموه افضع صنوف العذاب ... ولدى عودتي من ظلال الصليب صرخت مثلكم : لماذا سمحت بهذا ايها الاله ... ؟ ! ولماذا رضيت له بهذا العذاب لتصدّع به قلوب اتباعه ... ؟ !

يبد ان شعاة الرجاء عادت تملأ حياتنا عندما تأكدنا ان سيدنا قد قام من الموت في اليوم الثالث متصراً على الجحيم . وقد شاهدناه بينما اذ ظلّ يترأى لنا بشخصه النوراني حتى دخل الملكوت السماوي بمجده العظيم . وهكذا تقوى ايماننا به ، ومنذ تلك الساعة ونحن ننقل هذه البشائر السارة الى العالم معلنين ان يسوع حي ، وانه يرافقتنا في شدائدنا واضطرابات حياتنا .

فلا تظنوا الآن ان الموت ينتظركم بل تأكدوا انكم منحظون بالحياة ...

فليست هذه التي امامكم عذابات ودموع بل هي سرات وابتهاجات ... لانكم ستحرّرون من عبودية هذا العالم ، اذ تحصلون على حرية لا نظير لها . وليعلم جميع الذين يؤمنون بالمسيح انهم سينهضون ، وسينتقلون من ظلام الليل الى ضياء السماء . فارفعوا نفوسكم الى العلاه ، ولتستلّ قلوبكم بالرجاء ...

*

وحالما رفع يده ليباركهم ، شعر الجميع بان قوة علوية حلّت فيهم ، ودماً جديداً جرى في عروقهم . لاسيا وقد ادركوا ان الذي نطق بتلك الكلمات كان التلميذ الذي حظي برفقة السيد له المجد وانه احد الرسل الذين حلّ عليهم الروح القدس يوم الخميس .

وعندما انتهى بطرس من كلامه تطلعت ليجيا الى ماركوس باستحياء وهمست في اذنه قائلة : اريد ان اكون زوجة لك يا ماركوس . وها هو الرسول بطرس معنا ، وفي وسعه ان يربطنا بالرباط المقدس . ورغبتي ان يتم عقد زواجنا على يده قبل ان يأخذونا من هذا المكان لنكون دوماً متحدين معاً .

- اجابها ماركوس : لقد لمست فيكم قوة الايمان العجيبة ايها المسيحيون ... بيد ان هناك اسراراً كثيرة ما برحت غامضة عليّ في دينكم . وانت لا تريدني اني التموه وقبول هذا الدين الجديد ادعاء ورياء . فقد اتضح لي الآن ان المسيح هو مصدر تغزيتكم حتى في وسط الشدائد والاضطهادات .

اجابته ليجيا : ليتك يا ماركوس تدرك معنا اسرار ديننا .

فالمسيح مصدر رجائنا . ونحن لا نعتبر الموت نهاية كل شيء بل هو بداية حياة جديدة . انه تغيير من حياة دنيئة ، وانتقال الى سعادة ابدية . تأمل في هذا الدين الذي يجعلنا نحب اعدائنا... ويجعلنا على تطهير نفوسنا من الآثام ... ويعيدنا بالحياة بعد الموت ..

ووقف ماركوس موقف المتردد لكن ليحيا هتفت قائلة : المسيح حي فينا يا ماركوس .. وانا متأكدة انك تشعر بوجوده ... وتناولت ذراعه ، وسارت به الى حيث الرسول بطرس كان جالساً . وركعت امامه وقالت : ارغب ايها الرسول الامين ان تربطنا بالرباط المقدس في هذا السجن وقبل ان نساق الى الموت . وتطلع بطرس في وجه ماركوس وقال : ان الزواج سرّ مقدس . فان كنت عازماً على ذلك يا ماركوس . فتقدم الآن لتتناول بركة الله .

وعندما تأكد بطرس من اخلاص الاثنين تناول يدي المحبين المسجونين والصقهما ببعض ، ومن ثم بارك لهما هذا الرباط المقدس . وفيما كانت حفلة الزواج البسيطة تتم في غرفة السجن المظلمة كانت الامبراطورة پوپايا تتجول بين اقفاص الحيوانات الكاسرة صحة احد ضباط الحرس البريتوري . وكانت تتفرس في كل قفص ، متفحصة تلك الوحوش الضارية ، الى ان وقفت اخيراً امام قفص ثور كبير كان قد جيء به من بلاد جرمانيا .

وحالما شاهد الثور نور الصباح برقت عيناه وتحركت قرونه

وبداً يتهمج ويجور... وكان الامبراطورة وجدت في هذا الثور ما يروي
ظماها ويطفى. نيران حقدها . فتستمت قائلة : لا بد ان يكون مشهد
صراع هذا الثور مجلبة لمسرة الامبراطور . وقبل ان تترك المكان خاطبت
الثور قائلة : بيان لي يا صديقي الاسود انك عابس ومضطرب لكن
لا تحزن فقد اقدم لك ضحية مناسبة لتصارعها . وصكت على
اسنانها وهي تلمس قرون الثور من وراء القضبان . ثم سارت في
طريقها تفكر في خططها الشيطانية وترتيباتها الفظيعة .



الفصل العشرون



صلب بطرس

واخيراً ذنت ساعة استشهاد بطرس التي طالما توقعها هذا التلميذ الأمين . فدخل على الأثر الى سجنه جنديان قاداه الى احد الضباط . فلما مثل بين يديه سأله الضابط المسؤول : هل انت هو بطرس ؟ اجاب : نعم انا المدعو سمعان بطرس .

وفضّ الضابط كتاباً كان بيده وقرأ منه صورة الاتهام . فقد أتهم هذا الرسول بأنه يدعو الى الثورة ، والى نقض الحكم الامبراطوري والى عدم الاعتراف بالوهية الامبراطور . ومن اجل ذلك فقد صدر عليه الحكم بان ينقل الى تلة الفاتيكان حيث القى اولى عظامه هناك فيصلب عليها ، ويكون عبرة لغيره من المسيحيين .

وتعرض الرسول اولاً الى الجلد كما كانت العادة المتبعة عند الرومانيين ، ثم سيق الى تلة الفاتيكان حيث كان الصليب بانتظاره . وذهش الجنود الرومانيون لرؤيتهم الحشد الغفير من الناس يصطفون على جنبات الطريق المؤدية من السجن الى الفاتيكان . وكان ظنهم ان اعدام رجل مسيحي غريب لا يثير استغراب الجماهير الا انهم ادركوا

ان هذا كان زعيم جماعة لم يكن ليستهان بها . فعدد المسيحيين كان في تزايد مستمر . وهؤلاء هرعوا ليرافقوا زعيمهم في ساعاته الاخيرة .

وانتصب بطرس وسط الجماهير وكان هادى . البال ، لا يبدو عليه اي قلق او اضطراب . وقد اشرق وجهه ، وعلت شفته ابتسامة الظفر . فهو ليس بالمجرم الذاهب الى الموت بل هو الظافر السائر في موكب النصر . وهكذا سار هذا الصياد الجليلي بين الجموع برأس مرتفع ، وكانت الهمسات حوله تتجاوب بانسه ذاهب ليلاتي سيده . على الصليب .

واستغرب العبيد كيف يذهب هذا الرجل الغريب مبتعاً الى الصلب ، في حين ان المؤمنين ادركوا مصدر القوة التي تحضن الرجال الصالحين من اتباع يسوع - وهم في طريقهم الى ساحات الاستشهاد . فبطرس قد رافق المسيح ، وادرك محبته ، وعرف مبادئه . وقد كان على مثل اليقين ان الحق الذي اعلنه سيده سيملاً الارض ، وان بشارة الخلاص التي دعا اليها ستمتد الى شعوب الارض قاطبة .

وتطلع بطرس من فوق قلة القاتيين كان التي اختيرت مكاناً لصلبه ، الى الهياكل العديدة التي بنيت لآلهة روما فقال : عما قريب تتحولن ايتها الهياكل المتعالية الى معابد للمسيح . ورائت منه التفاتة الى الجماهير المحتشدة فقال : ان اولادكم سيكونون خداماً للمسيح ... وناجى سيده وقال : لقد امرتني يا سيد ان افتح هذه المدينة العظيمة ،

فها انا اتغلب عليها عن طريق هذه البذور المقدسة التي غرستها
في تربتها .

وخفّ المؤمنون من جوانب نهر التيسر ، واشتركوا في الموكب .
وخشي الضابط المسؤول ان يزداد عدد المتظاهرين بحيث لا يقوى الحراس
عن حفظ الامن بينهم . بيد ان هذا الضابط تعجّب كيف انه لم
تبدُ علامات الغضب والانتقام على وجوه هؤلاء الناس ، اذ كان الجميع
مأخوذين بروعة تلك الحادثة فبدوا هادئين ... ولا شك ان كثيراً من
هؤلاء تذكروا آنذاك حادثة موت المسيح وصلبه . وكيف ان الارض
ترزّلت ، والعجائب حدثت ، فظنوا انه لا بد ان تحدث عند موت هذا
الرسول عجيبة اخرى من السماء . وتوقع البعض الآخر عودة المسيح
كما وعدهم ، لذلك كانوا في حالة انتظار مسلمين نفوسهم الى رحمة
التقدير .

وعلى تلة الثايتيكان حفر الجنود ثقباً في الارض ليثبتوا فيها خشبة
الصليب . ثم استحضروا المطارق والمسامير ، وانتظروا ريثما تمّ جميع
الاستعدادات لينفذوا عملية الصلب في زعيم المسيحيين هذا . وكانت
الجماهير واجمة كأنّ على رؤوسها الطير . وعاد بطرس فتطلع الى المدينة
وقال : اناً نموت من اجل ان تخلصي ياروما ومن اجل ان تنتشر روح
المسيح فيك ... ها ان امواجاً من البرابرة سيجتاحون ديارك ويقوضون
معالم حضارتك ... ولسوف يجيء قياصرة ويذهبون ، الا ان مملكة

المسيح ستظل ثابتة وصامدة على مدى الاجيال ...

ومالت الشمس الى الغروب ، وملاّت الافق بالالوان الارجوانية
والحمراء . وكان بطرس راكعاً على الارض يصلي بحماسة ، فتقدم منه
الجنود ليرفعوه على خشبة الصليب . وعندذاك نهض ورفع يمينه ورسم
علامة الصليب مباركاً مدينة روما حتى في ساعة استشهاده . وختم
صفحة حياته الارضية وهو ينطق بهذه الكلمات : (Urbi et orbi)

مباركة انت يا مدينة العالم ...



الفصل الحادي والعشرون



المسيح يعلو صليبه ...

اكتظ الامفيثياتر الكبير في اليوم الثاني بالمتفرجين . وعندما دخله الامبراطور فتحت الابواب المؤدية الى سجون المسيحيين المعتقلين . وما اسرع ان سيقوا الى الساحة زرافات ووحدانا وقد حملوا صلبانهم على اكتافهم ، فناء الشيوخ تحت اثقالها ، ورزحت النساء تحت هذه الاحمال .

وزين هؤلاء الشهداء الشجعان اعواد صلبانهم باكاليل الزهور ، بيد ان الجنود لم يطب لهم مثل هذا ، لذلك اخذوا يضربون هؤلاء بالسياط دافعين اياهم الى تثبيت تلك الصلبان الخشبية في الحفر المعدة لها . وحكم على هؤلاء الذين لم يطرحوا امام الوحوش الكاسرة ان يموتوا صلباً على مشهد من الجماهير المتعطشة للدماء .

وما اسرع ما قبض العبيد على هؤلاء التمساء فجردوهم من ثيابهم ، ورفعهم على الاعواد ، بعد ان اخذوا يثقبون ايديهم وارجلهم بالمسامير . وتجاوب الامفيثياتر باصوات المطارق التي ازعجت الامبراطور ، الذي كان عندذاك يتجاذب الوان الاحاديث مع كاهنات الآلهة قسناً ، وافراد حاشيته .

وعندما انتصبت هذه الصلبان انعكست اشعة الشمس على رؤوس
واذرع هؤلاء الشهداء . وبانت في وسط الامفيثياتر بقعة قائمة نثرت
عليها الرمال الصفراء غشتها غابة من الصلبان ، وتدأت منها الرؤوس المنحنية
وتراءت فيها العيون الشاحصة الى العلاء ، كأنها في مناجاة . وكنت
ترى الشفاه تتحرك مصلية الى رب السماء .

وخيم الصمت فوق هذا المشهد لان الغوغاء رغم تعطشها للدماء ،
وشغفها بهذه المشاهد الجبرية لم تستطع الا السكوت والوجوم امام سعة
صدور هؤلاء الشهداء .



الانسانية تلوّث بدم الشهداء ، والعدل الروماني يتلخّص بصلب الابرياء

- ورائت من نيرون التفاتة الى بلوتيس وهو معلق على احد الصلبان فقال : اخالي اعرف هذا الشخص المصلوب ...

- اجابه احد رجال حاشيته : انه القائد بلوتيس الذي افتتح مقاطعات الشمال وضمها لامبراطوريتنا يوم كنت يافعا ايها الامبراطور !

- وعلق تيجليوس على هذا بقوله : لقد مهدت روما له سبيل الشهرة ، انما هو كافأها بالخيانة ...

- وبقه نيرون ضاحكاً وقال : يا لها من تمثيلية رائعة ! فان هذا القائد يجابه الآن اولى انهزاماته بعد تلك السلسلة من الانتصارات الباهرة ... ليتني انظم قصيدة فريدة في ذلك ... !

ورفع بلوتيس وجهه قليلاً ، وتقرّس في تلك الجماهير الزاخرة وقال :

يا شعب روما ! انا اولوس بلوتيس الذي كنت فيا مضى قائد جيوشكم المظفرة . اعلموا الآن ان بلادكم يحكمها اضرى الوحوش واحط الحكام . فهو يدعي ان المسيحيين هم الذين احرقوا مدينتكم ... انه يكذب عليكم ويخدعكم ... اذ انه هو الذي امر بحرقها . وها هو يقدم على قتل هؤلاء الابرياء ليؤهمكم بانه بري ، وانه يقتص لكم من المجرمين . تأكدوا ان نيرون وحده هو المجرم وهو الذي يستحق سخطكم وانتقامكم ...

قال هذا وافظ انفاسه الاخيرة وهو معلق على خشبة صليبه . واستشاط نيرون غضباً لدى سماعه مثل هذا الكلام اللاذع ، فقدحت

عيناه شرراً ولم يدر ماذا يفعل ؟ ! وبأي أسلوب ينتقم ؟ ! وتعالى صوت من ناحية ثانية يقول : ان هذه المشاهد لو صمها عار على العدالة الرومانية ! وهتف ثالث ليس لدينا الا الجزال غالبا لينقذ الموقف ويخلصنا من هذا السفاح المجرم !

ولم يستطع نيرون الانتظار فاعطى اشارته باحراق الضحايا . فنفخ الجند بالبوق ، وللفور هبّ المأجورون لحمل مشاعلهم واذكاه النار بالصلبان وبالضحايا المسيرة عليها . وتأججت النيران ، واشتعل الالهيب ، وانتشرت رائحة الشواء في ارجاء الامفيثياتر حتى فسد الهواء . وتعالى الصراخ بين الفوغاء ، وعمّ الضجيج بينما نفوس الشهداء كانت مطمئنة . وقد انما حياتهم الدنيوية بترجمة دينية مثيرة ...

واستشهد جميع المسيحيين المعتقلين ولم يبقَ على قيد الحياة سوى ليچيا ، وماركوس ، واورسيوس . وكانت الامبراطورة قد استبقتهم للمشهد الفظيع الذي اعدته لهم . وكان اورسيوس يتسرق النظرات من سجنه ليرى ماذا يجري في الامفيثياتر . فشاهد بأمّ عينه استشهاد بلوتيوس وغيره من المسيحيين الاوفياء ...

بقي اورسيوس في سجنه ينتظر مصيره ، ورجاء دخل عليه بعض الجنود فاستاقوه امامهم ثم طلبوا من ماركوس ان يتبعه . وألقت ليچيا ذراعيها حول عنق زوجها وقالت : لا تزيد ان نفترق يا ماركوس ! بيد ان جندياً سحبها عنه بعنف وقسوة ، وابعدها عنه . وعلى

الآثر دخلت ثلاث جاريات من العبيد الضخمت يحملن اكاليل الزهور
 وقطعة من القماش الابيض الشفاف . فعرين ليحيا من ملابسها ولقفنها
 بتلك القماشة البيضاء ثم وضعن الاكاليل على رأسها ، وانتظرن الاشارة
 من داخل الميدان ، اذ كان قد حُكم على هذه الفتاة ان تمثّل دوراً
 جهنياً رقبته يوپايا لها ...



الفصل الثاني والعشرون



اورسيوس بنصارع مع النور

خيم الليل على روما ، فاضي . الامفيثيتر الكبير بالمشاعل
والمصاييح . واستعدّ الناس لحضور المشهد الطريف الذي اعدته
الامبراطورة لتسليه الجماهير في تلك الليلة ... وعندما حان الوقت سيق
ماركوس مكتوف اليدين امام عرش نيرون ، وهناك ربط الى عمود
بجبال قوية . وحدجته يوپايا بنظرة تشفٍ وانتقام ، وقالت للامبراطور :
هذ هو زائرنا المحترم يا سيدي !

- وسأل نيرون : لمّ لم يدفع ماركوس الى الميدان لينال عقابه .

- اجابته : انه سيعرض هناك وشيكاً .

ولوح العريف بمنديله الاحمر فاذا الحراس يفتحون الابواب ، ويسوقون
اورسيوس الى الميدان . ووقف هذا الجبار مذهولاً ومشدوهاً واخذ
يجيل ببصاره في نواحي الامفيثيتر ، منتظراً مصيره . واندھشت الجماهير
لرؤية هذا المصارع القوي ، المقتول العضلات ، الصلب العود ، والقوي البنية .
ولطالما شاهدت الجماهير مصارعين اشداء لكنهم لم يشهدوا شخصاً يضاهيه

في الضخامة والقوة . وَخَيْلَ اليهم انهم يقفون امام تماثيل الكولوسوس العظيم ... !

وما هي الا لحظات حتى برز ثور ضخم من احد ابواب الامفيثياتر . وكان يحمل على رأسه ليجيا التي لُفَّت بالقماش البيضاء ووضعت بين قرني ذلك الثور الهائل . واستولت دهشة على نفوس النظارة ، وخيم السكون في ارجاء المكان . واشاح ماركوس بنظره الى الميدان فصُرع عندما شاهد ليجيا بين قرني الثور . فزفر وقال : اني اؤمن بعجيبة من المسيح ! وما كان من اورسيوس عندما شاهد هذا المنظر المريع الا ان هجم على الثور وامسك بقرنيه ، وصب كل قوته الجسدية في ذراعيه ، منيحاً بكل ثقله على الثور ، فخارت قوى الوحش وغرزت اقدامه في الرمال ، وتلوى جسمه كالطابة ، ولامس رأسه التراب .

ودهش الناس من هذا المنظر اذ هم لم يشهدوا مشهداً نظير هذا منذ تأسيس روما . وامر تيجليوس بان يجرب اورسيوس قوته مع الثور . فظل هذا المصارع يضبط على عنق الثور حتى سمع خواره من بعيد . ومن ثم ألوى رأسه ، وقصف عظامه ، فانثنت اقدامه وتقطعت انفاسه ، فوقع جثة هامة على ارض الميدان . وعلى الاثر قطع اورسيوس الجبال التي كانت تربط ليجيا ، ووقف ينتظر حكم النظارة ..

وتصيب العرق منه حتى سال على ساعديه وكتفيه العاريتين ، وكاد ان يقع مغشياً عليه من شدة الاعياء والاجهاد لولا ان انعشت

تقواه هتافات دوت بها الجماهير طالبة العفو عنه . وكان الجمهور لم يشهد منذ بد . الاستعراضات مشهداً اروع من هذا ، فقد سحرت قوة هذا الجبار عين النظارة لذلك ظلوا يصرخون طالبين اطلاق سراحه . وهزتهم كذلك الشفقة لدى رؤيتهم الفتاة الجميلة التحيلة ليحيا معرصة مثل هذه العذابات ، فرثوا لحالها وشفقوا عليها .

وتردد الامبراطور في بادى الامر من اصدار حكم العفو عن هؤلاء . فلم يكن له موجدة خاصة ضد ماركوس او ليجيا لكنه كان يسر برؤية امثال هذه المشاهد الدموية ، وكان يجد لذة خاصة في التمتع بامثال هذه العذابات البرية . اما الجماهير فما برحت تصرخ من اجل العفو عنهم ، وكأنهم رغبوا في انتزاع عناصر الرحمة من قلبه انتزاعاً . واجال نيرون بصره بينهم عساه يجد جماعة تنكس ابهاماتها ، اشارة الى جلب تنفيذ الحكم هؤلاء التمساء .

ودبت في ماركوس قوة علوية خارقة جعلته يقطع الجبال التي قيده . فقفز الى الميدان ووقف بالقرب من ليجيا . ثم رفع ابصاره الى الجماهير المحتشدة كاشفاً لهم عن اثار الجراح التي ملأت جسمه والتي تلقاها في حروبه المظفرة لبلاده . وعلى الاثر دوت الاصوات وجلجلت ، طالبة الرحمة وداعية للافراج عن هؤلاء . . .

ورفع ماركوس يده واثار الى نيرون ثم خاطب الجماهير قائلاً :

هذا هو الرجل الذي حرق مدينتكم ، وقتل ابرياءكم . . . اعلموا ان حكم هذا الطاغية قد انتهى اذ ان روما اصبحت لكم ثانية . . . فهذه الليلة

ترحف جيوش الجنرال غالبا من الشمال لتحرير روما . وها هو جيشكم الباسل
ينفض ثانية للوقوف في وجه الظلم والاستبداد . فليعش غالبا - الامبراطور
الجديد لروما .

ورجعت القاعة دوي المتأففات ليعش غالبا !! الموت لنيرون حارق
روما !!

ونجاة برزت فرقة من الجنود الذين كانوا يحاربون في الفيلق التابع
لماركوس ، وهجموا على نيرون واعوانه فتراجع الحرس البريتوري
عندما شاهدوا الجنود شاكى السلاح . وترك نيرون عرشه وهرع الى
الغرفة الخلفية من المدرج طالباً النجاة . وتركته حاشيته التي انضمت
الى الجماهير هاتفة بحياة غالبا .

ولحق تيجليوس بنيرون عساه يجد هو ايضاً سبيلاً للنجاة والفرار .
فاعترضه جندي ، وضربه بسيفه ضربة اسالت دماه . وصرخ
القاتل وهو يطبق عليه قائلاً : خذ هذه الضربة حامية من سيف
بلوتوس الشهيد !

الفصل الثالث والعشرون



نهاية نيرون وموته

وفّر نيرون من وجه الفوغاء ، والتجأ الى قصره صجبة بعض العبيد ، وافراد الخاشية . وكانت القاعات مهجورة ، سوى من بعض افراد الحرس البريتوري . وجزع نيرون كثيراً وبدا الخوف ينعكس على ملامحه ويشيع في كيانه . فاخذ يعدو من غرفة الى اخرى مفتشاً الزوايا ومتوجساً شراً في كل مكان . والظاهر ان حوادث الليلة الماضية ساقته الى آخر مرحلة من مراحل جنونه واضطراب نفسه .

ولشدّة ما بدأ يصرخ وينادي تيجليوس - سينكا - فيون - اين انتم ؟ ! اين الحراس والجند البريتوري ؟ ! واخذ يفكر في طرق يسترضي بها الجنود ، ويشترى بها ولاء المواطنين . فظن انه في الوسع دره هذه المخاطر عن طريق خلق مشاهد تسلية جديدة او اعطاء وعود مغرية للجباهير . واخيراًلقى بنفسه على كرسي عرشه حيث اخذ يهيجس ويفكر ... وخجأة شوهدينهض ويأخذ بالعدو كأن اشباحاً تطارده . وامر عبيده بان يسألوا النساء بقصد تقوية جهاز الدفاع عن القصر في حالة افتقارهم الى الرجال ، متخيلاً اولئك الامازونيات الباسلات وهن

يحاربين بشجاعة وعزم . ثم طلب ليؤتى له بادواته الموسيقية ليغزف لهؤلاء
الافياء انشودة جديدة .

اجل اراد نيرون ان يبدأ عصراً ذهبياً جديداً لروما ، لذلك عزم
ان ينظم لها الانشودة الجديدة . وتذكر نبوة احد العرافين الذي تنبأ
له بانه سيكون يوماً ما سيداً لاورشليم . وقد بكى عندما تخيل
نفسه يحمل ادوات موسيقاه ويتجول في شوارع المدن يغزف عليها
مستجدياً اكف المحسنين ، ومتخفياً عن الاعداء .

وظلت الهواجس تتوارد على محيلة نيرون فتريده قلقاً واضطراباً .
وكثيراً ما نادى بترونيوس طالباً رأيه ، متناسياً تلك الرسالة القاسية التي
كتبها هذا المستشار اليه قبل انتحاره . وكلما سمع وقع اقدام الغوغاء او
صراخهم زادت مخاوفه واشتد اضطرابه . وحدث انه لما رغب ان يطل من
الشرفة ليروى ماذا يجري في الخارج اذا تاج الغار يسقط عن راسه ، فعاد
الى الداخل مذعوراً متوجساً شراً ومحاولاً الاختباء وراء الاستار الكثيفة
والاعمدة الضخمة . وكلما سمع الناس يصرخون : « الموت لنيرون »
كلما انكمشت نفسه وزاد اصفرار وجهه .

- وتلفت حوله فاذا اككتي تدنو منه . فصرخ في وجهها : لماذا
حضرت ايتها الفاجرة ! انا قد اقصيتك عن قصري ، وامرتك ان
تبرحي ديارى !

- فتطلعت اليه هذه الجارية الامينة بعين حزينه وقالت : ألم اخبرك
انك متى احتجت الي جئت اليك هارعة ... !

- قال : لا تسخري مني او تهزئي بي يا اككتي بل اذهبي عني ...

وماذا تظنين انهم سيفعلون بي متى داهمت الغواء . قاعات قصري ١ ؟
 - اجابت : انهم اما ان يقتلوك فوراً او يحكموا عليك بالموت
 لقتلك امك وزوجتك . وانت تعرف مواد القانون ، والعادات الرومانية
 المتبعة في مثل هذه الحالات من الجرائم . انهم يضعون رأس المتهم كما
 لا يخفى عليك ، بين شوكة حديدية ثم يلهبون جسمه بالسياط حتى يفقد
 وعيه ، ومن ثم يلقونه في مياه التبر طعاماً للاسماك ...

وعلت الاصوات وُسُع وقع اقدام المتظاهرين الزاحفين الى القصر .
 فقررت اکتي ان تضع حداً لهذه المأساة ، فتناولت خنجرأ كان على
 المائدة وقالت لقد عشت يا نيرون كوحش ، ولكنك يجب ان
 تموت الآن كمبراطور . فخذ هذا الخنجر واغرز في قلبك ، ولا تدع
 يداً اخرى ان تمسك ...

وتراجع نيرون هلعاً وقال : لم تكن رغبتى ان اعيش كالوحش ،
 بل هي الالهة التي ارادت لي ذلك ! وجلس يبكي ويقول : هل هذه
 نهاية نيرون ؟ بالامس كنت سيد العالم والان اغدو قاتل نفسي !
 الا يعرف الناس ان فناناً عظيماً سيهلك ... ؟ ثم اخذ يذرع الغرفة
 ويعدد بعض الاسماء ... فنادى روح امه ... وتحدث الى اكتافيا
 زوجته الاولى ... وبترونيوس المستشار الوفي ... وحزن لما علم ان
 كل هؤلاء اصبحوا في عداد الاموات .

وشاهد پوپايا على مقربة منه فصرخ في وجهها قائلاً : من
 اهلك يا پوپايا قد اهلكت هؤلاء . كلهم ... وانت التي اشترت علي
 بقتل المسيحيين ... ويبدو لي انك انت المجرمة الكبيرة . وقبض

على عنقها بيديه الضخمتين وعصر بهما ذلك الحديد الرخص ، خفي ازهق .
الروح فيها وظل يردد ويقول لها : انت شيطاني يا پوپايا - فاذهبي حيث
لا تعودين !...

وسقطت پوپايا جثة هامدة عند قوائم العرش الامبراطوري . وهكذا
انتهت حياة هذه المرأة الشريرة . اما نيرون فعندما سمع صراخ الغوغاء
تقرب منه حاول ان يخفي نفسه وراء الاستار مردداً بصوت خافت هذه
العبارات : هل يدرك هؤلاء الرومانيون انه ليس في وسعهم ان يعيشوا
بدون في ؟ !

واذ لم يكن ثمة سبيل للفرار او النجاة استلّ الحنجر وادناه من
قلبه . وتقدمت اكنتي لتساعده على الانتحار ، فامسكت كتفه
من الخلف ، ووضعت يدها على مقبض الحنجر لتعضده ساعة يغرسه في
فؤاده . وزار نيرون زارة مخيفة ، ثم خرّ على الارض والدماء تسيل من
جسمه الضخم ، والحنجر مغروس في قلبه الاثيم .

وامسكت اكنتي رأسه ، ووضعت بين ذراعيها فتطلع اليها وهو يلفظ
النفس الاخير وقال : ما اعظم الفنان الذي طويت صفحته الآن !... !
واظهرت اكنتي ولاها لنيرون حتى بعد موته فلقت جثائه بقطعة من
القماش الثمين ووارته عن اعين الغوغاء . وفي اقرب فرصة مؤاتية احرقت
واخفت اثره ...

الفصل الرابع العشرون



الحكم للمسيح ومعه

وقرعت الطبول ، وصدحت الموسيقى ، وتقدم الجنود من ابواب روما وكلهم يسلك مفاوز تلك الطريق التاريخية التي سار فيها الفاتحون . وتعالى الهتافات من كل ناحية وصوب :

ليحييا غالبا - الامبراطور الجديد .

ليعيش غالبا - ان روما ستُبعث من جديد .

ووقف ماركوس وفابيوس على قمة التلة التي وقفوا عليها قبل بضعة اشهر ساعة سارت جيوشهما في طريق ابيان محاولة دخول ابواب المدينة الخالدة . وركب ماركوس عربته ، وانتظر مع اعوانه ليؤدي التحية لغالبا - منقذ روما . وتحركت الجيوش الزاحفة امامه وبرز غالبا في وسطها بملابسه الرومانية وبجلاله الملوكي . وكانت هيئته تدل على انه خلق للزعامة والقيادة . وهتف له ماركوس قائلاً : امامك يا غالبا مهمة شاقة ، اذ عليك ان تعيد بناء روما من جديد وان تجعل العدل الروماني يسير في مسالكه القديمة ...

- وقاطعه فابيوس وقال : اخشى انه يتعذر على روما ان تستعيد مجادها السابقة . انا انا على مثل اليقين انه في وسعنا ان نعيش في عالم اكثر استقراراً ، ومزود بقوى الايمان والرجاء ...

- وعلق ماركوس على هذا بقوله : يجب ان يتناغم المجد مع الايمان لان لا قيمة للواحد بدون الآخر . ويجمل لي بعد ان اذيت التحية لحاكمنا الجديد ان اذهب حيث تنتظري زوجتي ليجيا . اني راغب في ان آخذها الى صقلية طلباً للراحة بعد هذه الاحداث المروعة التي شهدناها .

- قال فابيوس : قبل مدة غير طويلة من الزمن وقفنا على هذه الراية نتطلع الى المدينة ، وكنت انا المتزوج الوحيد بينكم وانه ليسرنا الان ان نرى ماركوس قد انضم الى زمرتنا . فاهلاً وسهلاً بماركوس - صاحب البيت الجديد السعيد .

- اجابه ماركوس : اني وايم الحق قد انضمت الى زمرتكم سريعاً ، ورجائي منك بان لا تحرمنا زيارتك انت واسرتك الى صقلية في اقرب فرصة سانحة ، وتبادل الرفيقان نظرات الاخلاص والوفاء . ثم ربت ماركوس على كتف صديقه اشارة لمحبه له . وعلى الاثر تركه وهو يلهب ظهور جياد مركبته للاسراع به الى محبته . فأنحدرت العربدة بسرعة من الراية واختلط ديبها مع كلمات الوداع التي كان يهتف بها .

وبعد ساعة من الزمن شوهدت كوكبة من الفرسان تسير في طريق ابيان . وعندما وصل الركب الى المكان الذي ظهرت فيه الرؤيا السماوية للرسول بطرس ترجل تزاريس عن حصانه وقال : قفوا قليلاً في هذه البقعة التي كلم الرب بها بطرس ... فهنا سمع ذلك الصياد الجليلي نداء السماء وهتاف كوفادس .

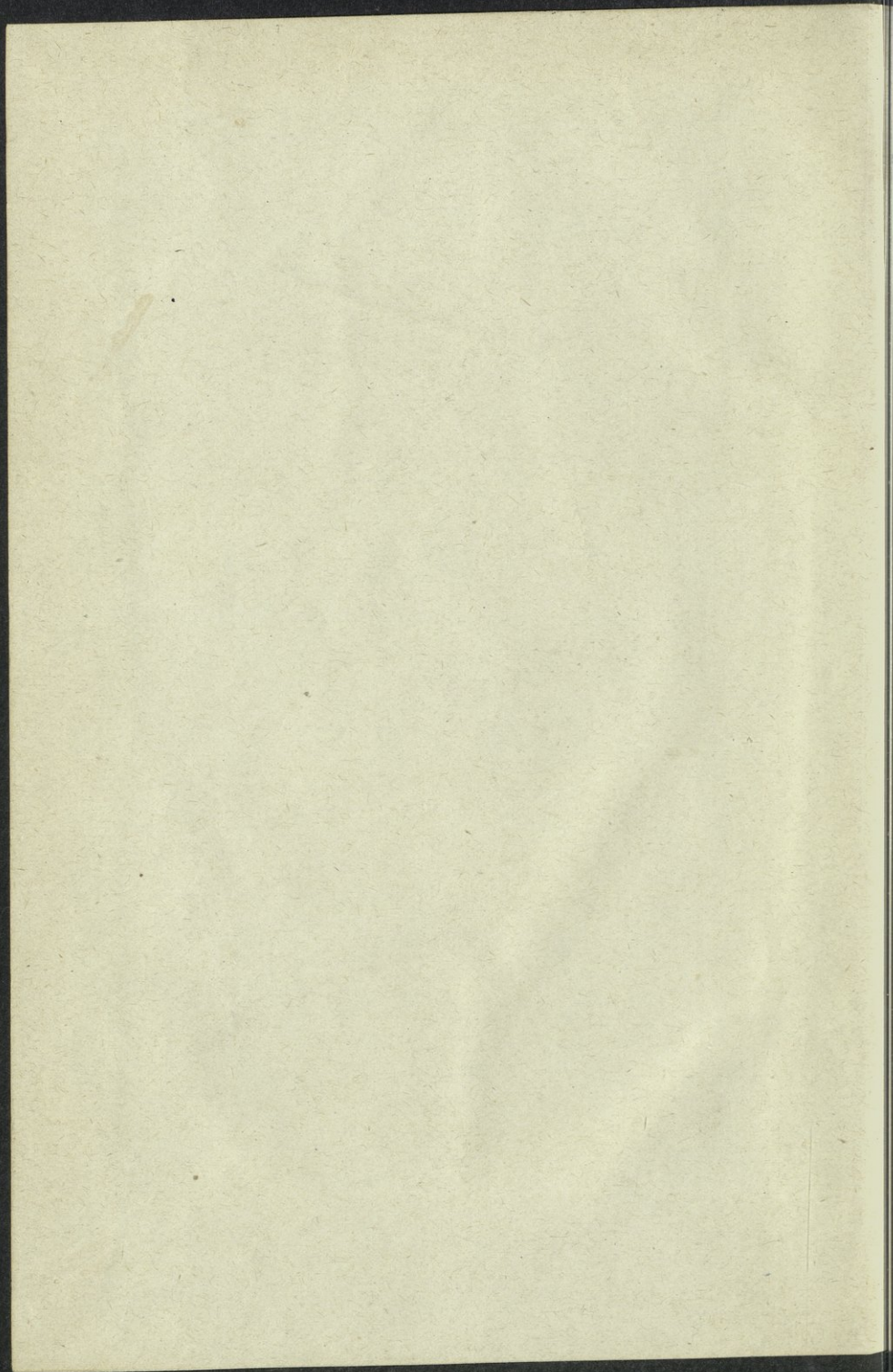
وجئت ليجيا على الارض وقبلتها وقالت : انها بالحقيقة بقعة من الارض مقدسة . وتطلع ماركوس الى حيث كانت ليجيا جاثية ، فاذا عصا القديس مغروسة في ارض تلك البقعة . فقال : ها هي البذور التي غرستها ايها الرسول قد بدأت تنمو ، وها هي البرائم قد اخذت تظهر ، والثمار تنضج ... ولا مراء فرائحة المسيح الزكية سوف تتضوع في كل بقاع العالم ...

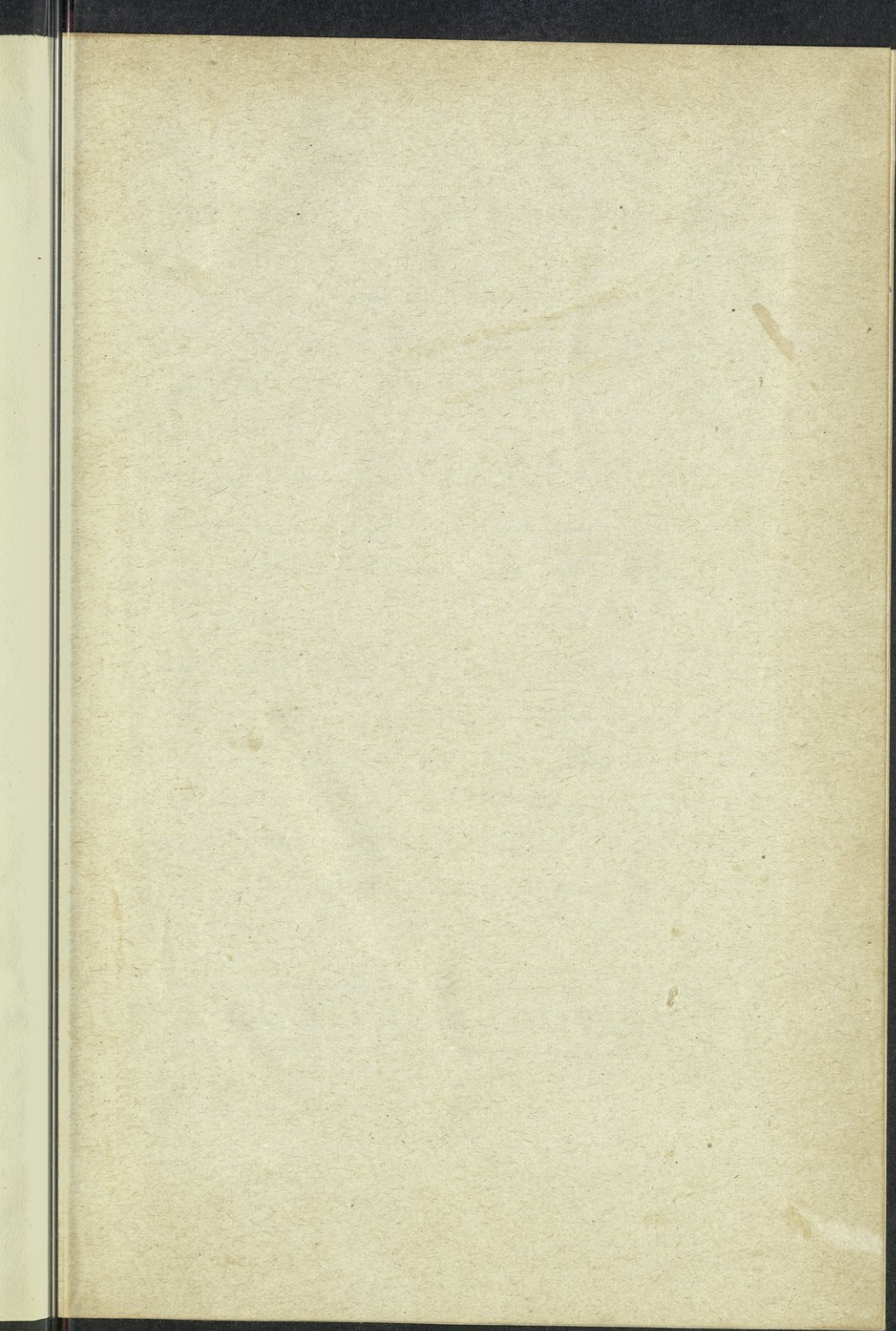
ولم تتمالك الجماعة الا ان تشترك في ترنيمة روحية هاتفة لحكم المسيح وانتشار سلطانه . فانشدوا ذات الترنيمة التي ترنم بها المسيحيون الذين حكم عليهم بالموت والاستشهاد في ميدان الامفيثياتر الكبير .

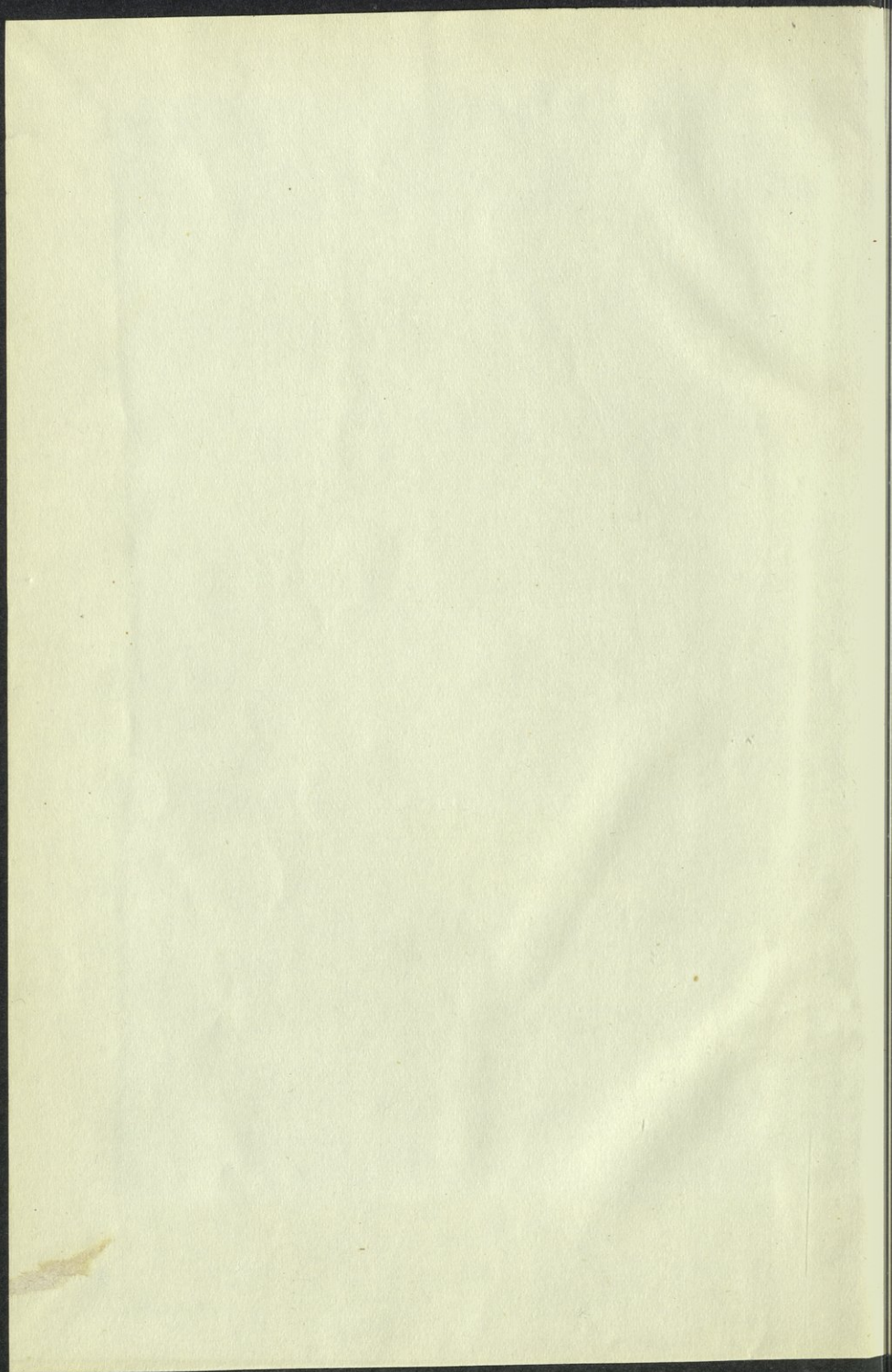
*

ولشدهما زال حكم نيرون وتوارى مثلما تتوارى العاصفة او تنطفئ . شعلة النار ، بيد ان حكم المسيح ظل راسخ الاركان وطيد البنيان . ويشاهد الزائر في ضواحي روما الآن كنيسة اثرية اقيمت فوق تلك الطريق التاريخية المواجهة لتلة القاتيكان . وفي وسع الزائر ان يقرأ على عتاب تلك الباساليكا التاريخية العبارة الخالدة - **كوفا دس** وهي العبارة المدوية التي اوحى الى كتابة هذه القصة العظيمة ...

QUO VADIS DOMINE







2
F

مطر، ابراهيم
كوفادس: وهي قصة الفيلم المرتكزة على

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032734

American University of Beirut



General Library

891.853
Si579A